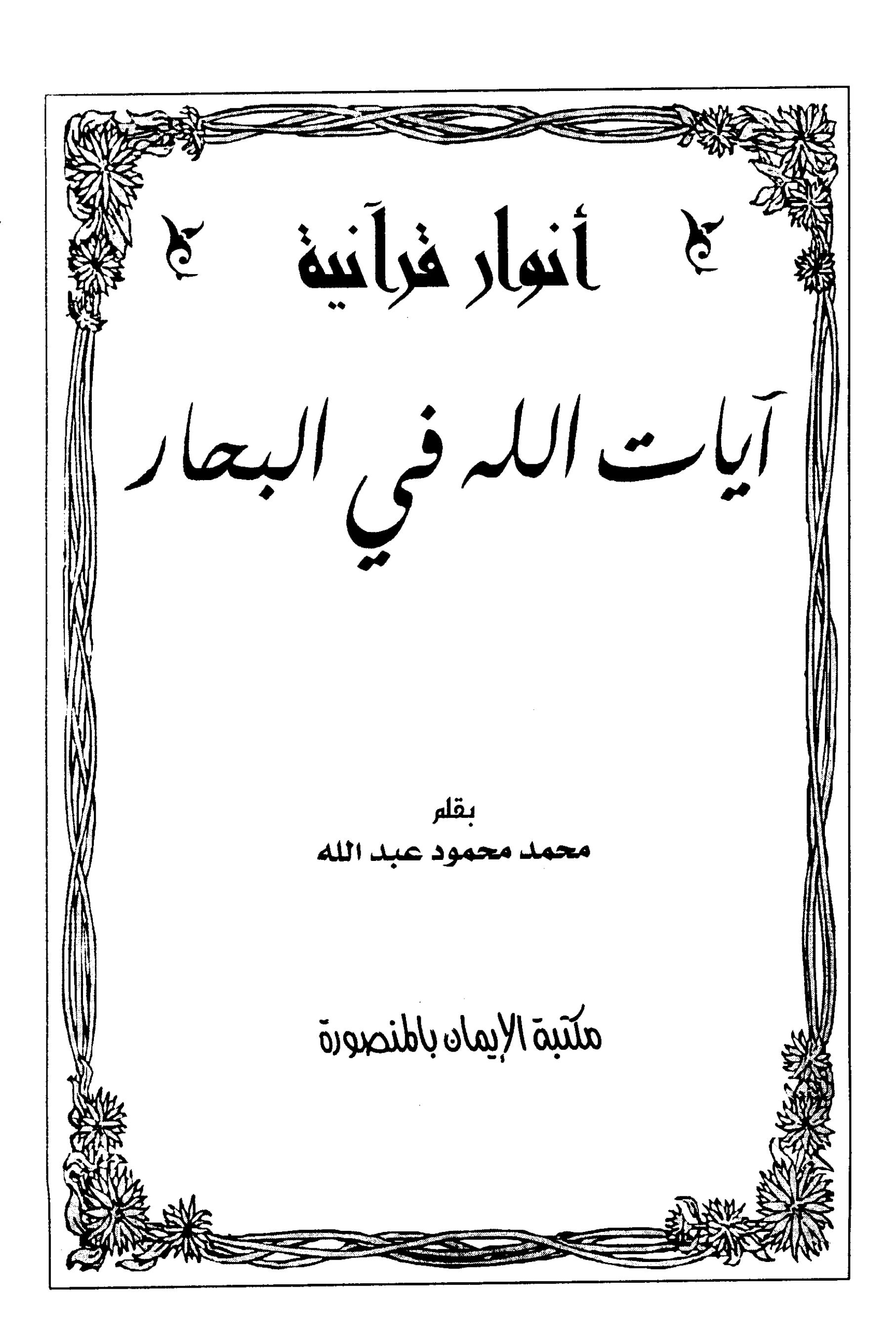


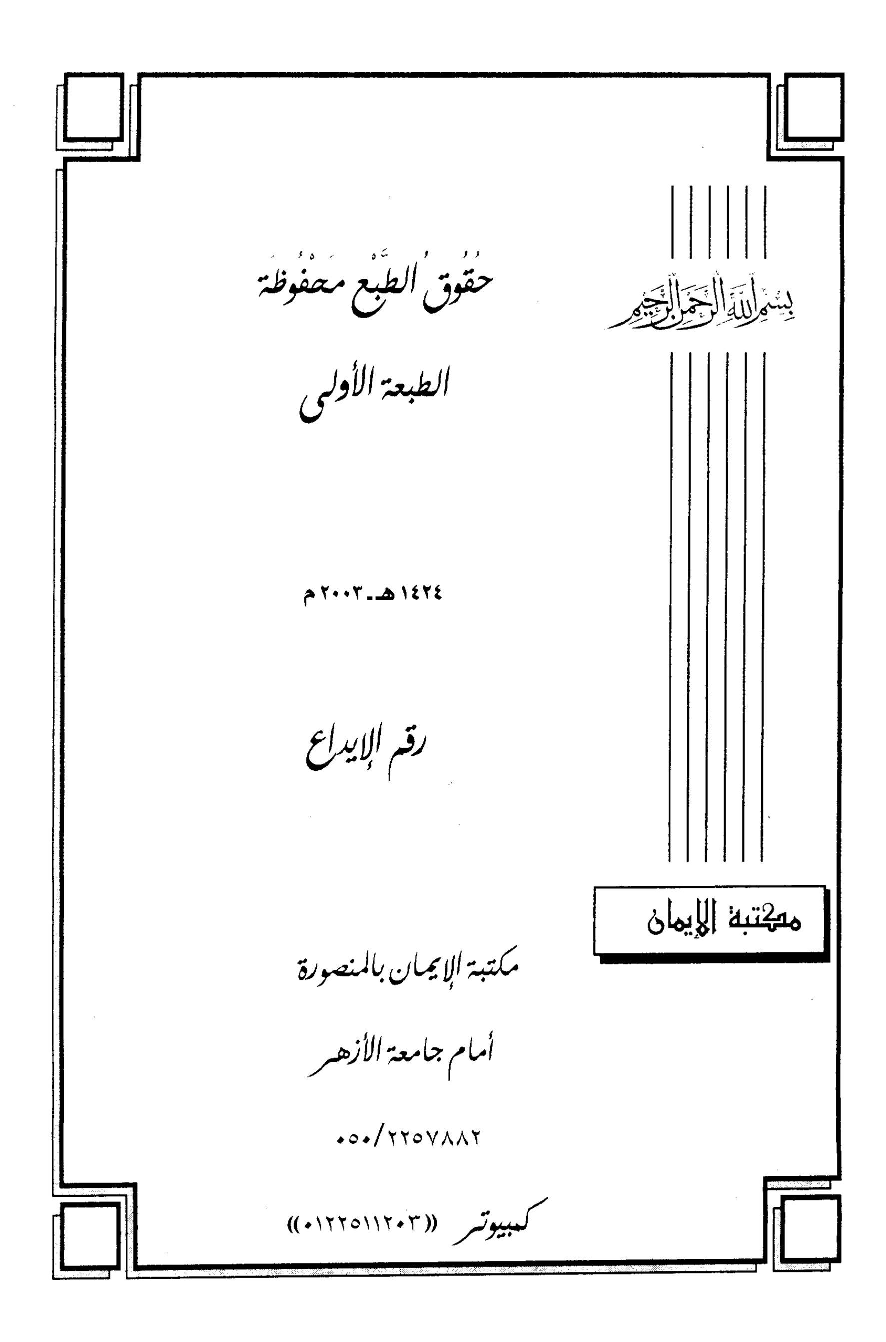
أنوار قرآنية

آيات الله في البحار

بقلم

محمد محمود عبد الله

مكتبة الإيمان بالمنصورة



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

رقم الإيداع

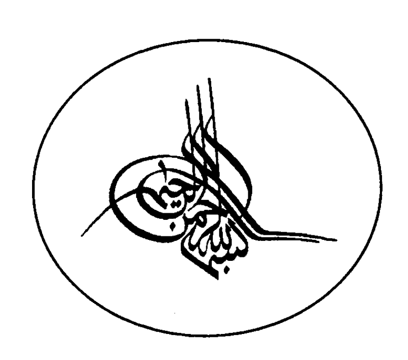
مكتبة الإيمان

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

كمبيوتر «٠١٢٢٥١١٢٠٣»



تمهيد:

من فضل الله على الإنسان أنه لم يتركه في الحياة يستهدي بما أودعه الله فيه من فطرة سليمة تقوده إلى الخير وترشده إلى البر فحسب، بل بعث إليه بين فترة وأخرى رسولاً يحمل من الله كتابًا يدعوه إلى عبادته وحده ويبشر وينذر لتقوم عليه الحجة؛ لأن عدالة السماء دقة في مقتضى العدل: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء: ١٥]. وهكذا سنة الله في الخلق ألا يعذب حتى يرسل رسلاً يهدون أقوامهم إلى معرفة الحق سبحانه، ويخرجونهم من ظلام الجهالة إلى نور المعرفة والهداية.

فالقرآن الكريم رسالة الله إلى الإنسانية عامة: وقد تواترت النصوص الدالة على ذلك في الكتاب والسنة: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف: ١٥٨]. ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ [الفرقان: ١].

وقال رسول الله (ﷺ): «**وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت للعالمين كافة**».

ويقول ربنا (عز وجل) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وهنا معنى عمومية الرسالة المحمدية فلا غرو من أن يأتي القرآن، وافيًا بجميع مطالب الحياة الإنسانية على الأسس القويمة للأديان السماوية، وقد تحدى رسول الله (ﷺ). العرب بالقرآن وقد نزل بلسانهم وهم أرباب الفصاحة والبيان فعجزوا أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور أو بسورة من مثله. فثبت له الإعجاز وبإعجازه ثبتت الرسالة وكتب الله له الحفظ والنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل، فمن أوصاف جبريل الذي نزل بالقرآن: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

ومن أوصاف المنزل عليه: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٢].

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩].

ولم تكن هذه الميزة لكتاب آخر من الكتب السابقة؛ لأنها جاءت موقوته بزمن خاص، وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وقد تجاوزت رسالة القرآن الإنس إلى الجن: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣١].

والقرآن الحكيم بتلك الخصائص يعالج المشكلات الإنسانية في شتى

مواقف الحياة الروحية والعـقلية والبدنية والاجتماعية والاقتـصادية والسياسية علاجًا حكيمًا: لأنه ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. ويضع لكل مشكلة بلسمها الشافي فـي منهج واضح يرسم للإنسانية خطاها وتبني عليها في كل عصر ما يلائمها، فاكتسب بذلك صلاحية لكل زمان ومكان.

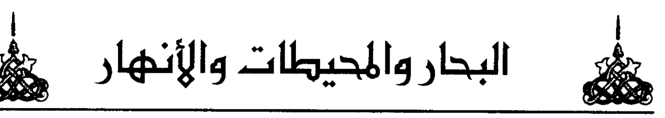
فهـو دين الخلود، وما أجمل ما قـاله داعية الإسـلام في القرن الرابع عشر:

«الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا، فهو دولة ووطن، أو حكومة وأمة، وهو خُلـق وقوة، أو رحمة وعدالة، وهو قـانون وثقافة، أو علم وقـضاء، وهو مـادة وثروة، أو كسب وغنى، وهو جـهاد ودعـوة، أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة». وما توفيقي إلا بالله عليه توكت وإليه أنيب»

خادم القرآن:

محمد محمود عبد الله
مدرس علوم القرآن بالأزهر





البحار والمحيطات والأنهار

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾ [فاطر: ١٢].

من عظيم صنع الخالق (سبحانه): أن كل شيء زيَّن به الأرض، وجعله من الدلالات على ربوبيته، إلا سخّره لخدمة ومنفعته الإنسان الذي هو أكرم هذه المخلوقات وأعزّها على الله (تعالى) وها هي البحار والمحيطات والأنهار، تؤدي مهامّها بدقة ما بعدها دقة، حتى لايكاد ماؤها يختلط ببعضه، على الرغم من أن السيطرة والتحكم واحد، وانظر إلى دقة الصانع ومدى السيطرة والتحكم فيما صنع:

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠].

وفي آية أخرى يقول (سبحانه): ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ [النمل: ٦١].

وها هي تعدد النعم للبحرين والفوائد، تتحد في أشياء وتختلف في أخرى، تتحد في جريان الفلك والسمك واللؤلؤ والمرجان، وتختلف في الطعم والمذاق، هذا عذب المذاق صالح للشراب، والآخر مالح لا يصلح للإنسان ولا الحيوان، وسنعرض لمحة عن البحار والمحيطات والأنهار مما في الأرض.

البحار والمحيطات:

تبلغ سطوح البحار والمحيطات حوالي ٧٠,٩٢٪ من مساحة سطح الأرض عامة.

أما الأعماق التي تمتد من متر واحد إلى نحو ٢٠٠٠ مترًا، فتبلغ مساحتها حوالي ١٤,٨٪ من سطوح هذه البحار. أما التي تمتد ما بين ٢٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ مترًا فتبلغ مساحتها ١,٢٪.

وتختلف حرارة سطح البحر باختلاف موقعه من خط الاستواء شمالاً أو جنوبًا، وهي تبلغ الصفر على عمق ٤٠٠٠ مترًا، ويختفي نور الشمس على عمق ٤٥٠ مترًا، فلا تراه العين المجردة، لكن الكاميرا تتأثر به إلى نحو ٩٠٠ مترًا، وتتسع البحار إلى ما يبلغ ١٣٧٠ مليون متر مكعب من المياه.

وأوسع محيط في العالم هو المحيط الهادي ويغطي نسبة ٤٦٪ من مساحة المحيطات. وتبلغ مساحته دون البحار المتصلة به ١٦٦٢٤٠٠٠٠ كلم². وأقصر مسافة فيه للالتقاء بين مكانين هي ١٧٥٥٠ كم. وتقع بين الإكوادور وبانكوك.

أما أكبر بحر داخلي فهو بحر قزوين، إذ يبلغ عرضه ١٢٢٥ كم، ومساحة سطحه ٣٧١٨٠٠ كم². تمتلك منها إيران حوالي ١٤٣٢٠٠ كم². ويمتلك الاتحاد السوفيتي المساحة الباقية.

وأقصى أعماق هذا البحر لا تتجاوز ٩٨٠ مترًا، وينخفض سطحه ٢٨ مترًا عن سطح البحر. وتقدر سعته بـ ١٨٩٦٠٠ كم³ من المياه المالحة.

ومنذ عام ١٩٣٠ تناقصت مساحته ٣٩٠٠٠ كم٢ وانخفض سطحه ١٨,٩ مترًا، وتراجع عن شاطئه ١٦ كم.

ويحاول الاتحاد السوفيتي تنفيذ مشروع يقضي بزيادة ضخ عدة أنهار فيه، منها نهر الفولغا ليعود هذا البحر الذي يقول عنه البعض بحيرة إلى الامتلاء.

أما أكبر بحيرة في العالم فهي البحيرة العليا التي يقع قسم منها في الولايات المتحدة والآخر في كندا. وتبلغ مساحتها ٨٢٣٥٠ كم٢، وتعلوا ١٨٢ مترًا عن سطح البحر.

أما البحيرة التي تتسع لأكبر حجم من الماء العذب فهي بحيرة بايكال إذ تتسع لـ ٢٤٠٠٠ كم٣، وطولها ٦٢٠ كم، وعرضها ٧٤ كم، وأقصى عمق فيها يصل إلى ١٩٤٠ مترًا فتصبح بذلك أعمق بحيرة في العالم.

أما أعلى بحيرة في العالم التي يمكن الملاحة فيها، فهي بحيرة تيتيكاكا التي تقع بين بيرو وبوليفيا على علو ٣٨١١ مترًا عن سطح البحر، ومساحتها ٨٢٨٥ كم٢. طولها ٢٠٩ كم، وأعمق مكان فيها يبلغ ٣٧٠ مترًا.

وتوجد بحيرة متجمدة على جبال الهملايا بالقرب من قمة إفرست على علو ٥٨٨٠ مترًا. ويوجد في التبت بحيرة نام تسو على علو ٤٥٧٨ مترًا ومساحتها ١٩٥٦ كم٢.

وقد اختلفت آراء الجغرافيين في اعتماد أطول الأنهار في العالم فقال البعض إن النيل الذي يصب في البحر الأبيض المتوسط هو الأطول. وقال آخرون بأن نهر الأمازون الذي يصب في المحيط الأطلنطي هو الأطول.

واعتبر فـريق آخر أن نهر الميسيسـيبي بعد التقائه بنهر مـيسوري يصبح أطول من الاثنين.

وقد جاءت في أحدث المراجع الجغرافية ما يلي:

١ ـ نهر النيل أفريقيا ٦٦٧٠ كم.

٢ ـ نهر الأمازون أمريكا الجنوبية ٦٤٤٨ كم.

٣ ـ نهر الميسيسيبي ـ ميسوري أمريكا الشمالية ٨١٥٠ كم.

والمدهش في عـالم الأنهـار أنه في عـام ١٩٥٨ تم بواسـطة الراديو اكتشاف نهر آخر يوجد تحت تربة نهـر النيل يضخ بقوة ٦ أضعاف ما يضخه النيل، وأنه على عمق ٩٠ متـرًا من قاع المحيط الباسيفيـكي يجري نهر آخر ٤٠٠ كـم يسمى «تيار كرومويل».

أما أقصر الأنهار فهـو نهر دي، الواقع في لنكولن سيتي في الولايات المتحـدة، ويربط بحيرة ديـفيل بالمحيط البـاسيفـيكي وطوله عند تراجع النو ١٣٤ مترًا.

﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

أعلى الشلالات:

يتساقط شلال أنجيل في بنزويـلا على هيأة درج من ارتفاع ٩٧٩ مترًا. ويعتبـر أعلى شلال في العالم. يليه شـلال توغيلا في أفريقيـا الجنوبية بعلو ٩٤٨ مترًا، أما أغزر الشلالات فهي شلال غوايرا في البرازيل، ويليه نياغارا في الولايات المتحدة ـ كندا.

المنخفضات الرئيسية في الأرض:

أعمق هوة بحرية على الكرة الأرضية تقع في المحيط الباسيفيكي تبلغ ١٠٩٠٠ متر. اكتشفتها باخرة الأبحاث شالنجر عام ١٩٥١.

وتنخفض بحيرة أسال في أفريقيا ١٧٠ مترًا عن سطح البحر.

وينخفض البحر في الأردن ٣٩٤ مترًا وهو أعظم منخفض على سطح الأرض. وتنخفض بحيرة طبريا في فلسطين ٢٠٨ أمتار. ووادي الموت في كاليفورنيا ٨٥ مترًا ونصف المتر.

أطول الفجوات في الأرض

الفجوات التي تشق الجبال أو الصخور في الأرض لا يحصى عددها.

ولكن التي يتعدى طولها ٢٥ كم منها لا تتجاوز ٢٥ فجوة، منها فجوة ماموث في الولايات المتحدة وطولها ٢٥٢ كم. وفجوة هولخ في سويسرا وطولها ١٢٣ كم. وفجوة بيستشتشرا في الاتحاد السوفيتي وطولها ١٠٥ كم.

وأكبر كتلة صخرية هي التجمع الصخري الأكبر ضخامة في العالم الذي يقع على قمة أوغسطوس في أستراليا التي ترتفع ١١٠٥ أمتار، تعلو هذه الكتلة ٣٧٧ مترًا فوق القمة وتوتد بطول ٨ كم، وبعرض ٣ كم.

أما أطول جسر طبيعي في العالم، فهو هولاند سكاب أرش في الولايات المتحدة، ويبلغ طوله ٨٨ مترًا.

ويرتفع ٣٠ مترًا عن سطح الأرض، ويصل عرضه في أحد الأمكنة

إلى ١،٨٢ مترًا بسبب التآكل الصخري.

أما أعلى جبل تحت البحار، فقد اكتشف عام ١٩٥٣، ويقع في تجويف تونغا بين جزر سومطرة، ويبلغ طوله ٨٦٩٠ مترًا، وتصل قمته إلى ٣٦٥ مترًا تحت سطح الماء.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

أكبر سلسلة جبال تحت البحار:

تمتد أكبر سلسلة جبال تحت البحار في المحيط الهندي وشرق الباسيفيك من خليج عدن إلى خليج كاليفورنيا بالولايات المتحدة بطول ٣٧٢٠ كم، وتبلغ نسبة الحد الأوسط للجبال فيه ٢٤٣٠ مترًا صعودًا من قاع المحيط.

أبعد مسافة بحرًا:

الريان: فمن يرد اجتياز أطول مسافة بحرًا حول العالم، عليه أن ينطلق من نقطة بحرية تبعد ٢٤٠ كم غربي كراتشي ـ الباكستان. ليتصل بنقطة أخرى على بعد ٣٢٠ كم شمالي أوكا أكامشاتكا، مجتازًا بذلك سواحل موزمبيق، ويكون قد عبر مسافة ٣١٩٦٠ كم.

سرعة التيارات البحرية

يضخ تيار القطب الجنوبي ٢٧٠ كم في الثانية، وعرضه من ٣٠٠ إلى ٢٠٠٠ كم. أما سرعته على سطح المياه فتبلغ ٧٥٠ مترًا فقط في الساعة، وأسرع التيارات البحرية هو تيار ناكواتوا الذي يجتاز سواحل كولومبيا البريطانية وكندا بسرعة هائلة تصل إلى ٢٩٦٠٠٠ كم في الساعة.

أكبر مساحة جليدية:

يتحول الثلج على عمق ٥٦ مترًا إلى جليد. وأعظم المساحات الجليدية هي الإنتاركتيك «المحيط المتجمد الشمالي»، إذ تبلغ ١٤ مليون كيلو متر مربع، ويقدر وزنها بـ ١٢ مليون طن، وسمكها بـ ٤٧٧٦ مترًا. وفي حال ذوبان الجبال والأراضي الجليدية في العالم، فإن البحار ترتفع إلى علو ٦١ مترًا، فتغطي بذلك خمس الأراضي المحيطة بها.

أكبر جبل جليدي عائم:

اكتشفت السفينة الأمريكية «غلاسية» وهي من كاسحات الجليد أثناء عبورها المحيط الباسيفيكي عام ١٩٥٦ أكبر جبل جليد عائم حتى الآن بلغت مساحته ٣١٠٠٠ كم٢، طوله ٣٢٥ كم. وعرضه ٩٧ كم. أي أنه أكبر مساحة من بلجيكا.

واكتشفت عام ١٩٥٦ في المحيط المتجمد الشمالي جبل جليدي يسمى «لامبرت» يمتد بطول ٤٠٢ كم. وعرض ٦٤ كم. وباتصاله بالجبل الجليدي «فيشر» يشكلان لسانًا جليديًا بطول ٥١٤ كم.

أكبر مغارة:

أكبر مغارة تم اكتشافها عام ١٩٨٠ في ماليزيا، وتمتد بطول ٧٠٠م، وعرض ٣٠٠م، وعلو ٧٠م. وأكبر صالة في مغارة توجد في المكسيك وتدعى «بيغ روم» تبلغ مساحتها ٥,٦ هكتار، ويتراوح علوها بين ٢٤ ـ ٧٧ مترًا، وطولها ٥٥٠ مترًا.





اختلاف البحار بعضها عن بعض والحاجز المائي بينها

المياه المالحة في مختلف بحار العالم، تختلف عن بعضها البعض؛ فالبحر المتوسط يختلف عن المحيط الأطلنطي، والمحيط الهادي عن المحيط الهندي... إلخ.

ثم إن هذا الاختلاف ليس بالإضافة إلى الملوحة فقط بل في أمور أخرى أيضًا كدرجة الحرارة والكثافة وغيرها من الأوصاف.

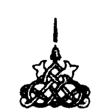
ففي عام ١٩٦٢، اكتشفت بعثة ألمانية جاءت لتدرس مياه باب المندب، أن هنالك حاجزًا من المياه تختلف خصائصه عن خصائص البحر الأحمر وخصائص المحيط الهندي.

وفي عام ١٩٨٢ جاءت بعثة علمية أمريكية إلى جامعة الملك عبدالعزيز السعودية، فذكرت أن هذا الحاجز من مياه باب المندب، قد صُور من سفن الفضاء الأمريكية، وظهر أن هذا الحاجز يتحرك بالمد والجزر والرياح، أي (مَرَج) كما ذُكر في القرآن، وعمقه في البحر يقارب ألف متر تقريبًا.

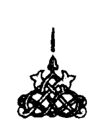
فلننظر إذن في القرآن، لنرى ماذا يقول عن هذا الموضوع الذي لم يُكتشف إلا عام ١٩٦٢، تقول الآية: ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾ [الرحمن: ١٩ ـ ٢٢]. فكلمة مَرَجَ: معناها الذهاب والإياب والاضطراب، أما البرزخ: فمعناه الحاجز.

فالقرآن الكريم إذن ذكر حاجز المياه الخالص بين البحار، قبل اكتشافه وتصويره بأربعة عشر قرنًا. ألا يدل ذلك على أن القرآن الكريم وحي إلهي إلى الرسول محمد (ﷺ)، فالرسول (ﷺ) لم تكن لديه أجهزة علمية ليدرس مياه باب المندب التي لم يزرها طول حياته ولم يكن لديه سفينة فضاء ليصورها!!





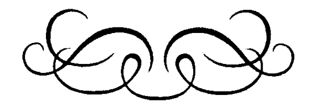
التقاء الأنهار العذبة بالمياه المالحة

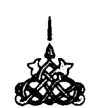


تقول الآية الكريمة: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣].

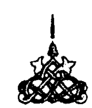
فهذا البرزخ الفاصل بين مياه النهر ومياه البحر الذي يصب فيه، صُور بوضوح من سفن الفضاء وشكله مثلثي تقريبًا، قاعدته في البحر وذروته نهاية النهر.

وثبت بالدراسة العلمية في أعماق هذا البرزخ من المياه، أنه فعلاً حجر محجور، كما ذكره القرآن الكريم، إذ لا يستطيع السَّمَكُ الوصول إليه سواء منها النهري أو البحري. وهذا البرزخ يمتد إلى أسفل البحر، بمسافة تقرب من ألف متر، وهو دليل علمي آخر على أن القرآن وحي من الله (عز وجل) لرسوله (ﷺ).





الموج الموجود في عمق البحر



في عام ١٩٠٠ اكتشفت البحَّارة الإسكندنافية، منطقة في البحر بعمق (٢٠٠) متر مائتي أو أكثر فيها موجًا داخليًا.

وتبين بعد دراسة المنطقة بأجهـزة الغوص، أنه يوجد تحت منطقة الموج ظلام دامس شديد، أما فوق منطقة الموج فيخف الظلام تدريجيًا حتى سطح البحر، ويمتد هـذا الظلام الشديد إلى عـمق ألف متر تقريبًا، والموج المذكور لا يتكون إلا بين مائين مختلفين، ذلك لأن الطاقة والحرارة والحياة والأسماك وغيرها تختلف بين أعلى الموج وأسفله...

مع العلم أن الإنسان العـادي بدون أجهزة ومعدات خـاصة لا يستطيع الغوص في الماء أكـثر من ثلاثين متـرًا، لأن الغوص أكثر من ثلاثين مـترًا، يسبب خروج غازات الدم الخاصة وتحدث بذلك الوفاة.

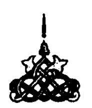
وقد وصف الله (تعالى) هـذه المنطقة من البحر فقال: ﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ [النور: ٤٠].

ومعنى يغشاه موج أي: يغطيه. والبحر اللجي: هو العميق الذي تحت الموج الداخلي. والسحاب: هو الموجود عادة فوق البحار.

فـالموج في الآية الكريمة هو الموج الداخلي العـميق والموج الثـاني هو الموجود على سطح البحار وفوقه السحاب، وهـذا أيضًا من معجزات القرآن العلمية والتي لم يكتـشفها العلم إلا عام ١٩٠٠، بينما ذكـر القرآن تفاصيل ذلك من قبل (١٣٠٠) عامًا.



البراكين
الموجودة في عمق البحار



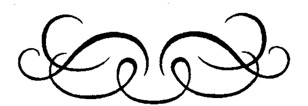
تقول الآية الكريمة: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ١ ـ ٦].

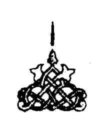
من معاني كلمة (مسجور): المُسَخَّن، أو «المسخن بالنار».

ولقد ثبت علميًا وجود براكين نارية تخرج من قاع البحر، ولم يُعرف ذلك إلا في النصف الثاني من القرن العشرين.

وقد أمكن تصوير هذه البراكين وقياس حرارة الماء الموضعية حول النار الخارجة من قاع البحار.

وكلمة (المسجور) أي: المُسَخَّن، تدل على وجود نار تحت البحر، فتسخنه؛ وهي نار البراكين المكتشفة حديثًا. وقد تكلم القرآن عنه قبل عشرات القرون. وهذا دليل قاطع على أن القرآن وحي الله أنزله على سيدنا محمد (ﷺ).





خروج اليهود من مصر

إن هذه القصة الواردة في الكتب الدينية القديمة، تقول أن اليهود الذين كانوا في مصر أيام حكم الفرعون (رمسيس الثاني)، كانوا مضطهدين جدًا من قبله. وقد ذكر القرآن الكريم في قوله (تعالى): ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦].

لذلك قرر اليهود الهروب من مصر، وتقول الرواية التوراتية، إن اليهود قد فروا من مدينة رمسيس بأعداد كبيرة بلغت ستمائة ألف (سفر الخروج ١٢ و ٣٧).

فما كان من فرعون إلا أن جهز عربته وقاد جيشه وأخذ معه ستمائة من أحسن عرباته، وكل عربات مصر، محملة بالجنود، وانطلق متتبعًا الإسرائيليين رافعًا يده إلى العلاء (سفر الخروج ١٤، ٦ ـ ٨)، إلى أن أدركوا موسى وجيشه على شاطئ البحر.

وما إن رفع موسى عصاه حتى انفلق البحر أمامه، فدخل الناس فيه يسيرون على أرض جافة، وتبعهم المصريون ومعهم كل جياد فرعون وعرباتهم وفرسانهم، وسلكوا الطريق متعقبين آثارهم في وسط البحر (سفر الخروج ١٤ و ٣٣). وهنا عاد البحر وغمر المنطقة وأغرق عربات وفرسان كل جيش فرعون الذين دخلوا وراءهم فيه، ولم يبق منهم أحد (سفر

الخروج ١٤ و ٢٨ ، ٢٩).

(نُقلت الرواية التوراتية حرفيًا من كتاب الدكتور بوكاي).

إن كلمة (لم يبق منهم أحد) تدل على أن فرعون أيضًا قد غرق مع جيشه ومات في البحر، ولكن التوراة لم تذكر شيئًا عما حصل لجسمه.

ويقول ربنا (عز وجل): ﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ** ﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩٢].

أولاً: إن كل المتحاملين على الإسلام والدين الإسلامي، يقولون إن محمدًا (ﷺ) قد نقل القرآن من التوراة بينما القرآن هنا يخالف التوراة في موضوع غرق فرعون مصر.

ثانيًا: ثبت تاريخيًا أن فرعون الذي كان يحكم أثناء خروج اليهود من مصر هو منفتاح، وهو الذي لحق باليهود وغرق مع جيشه بالبحر؛ ولكن بينما التوراة تقول أن منفتاح غرق مع جيشه، يقول القرآن الكريم إن جثمانه قد أُنقذ.

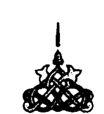
وفعلاً فإن جثمان الفرعون منفتاح اكتشفه عالم الآثار «لوريت» عام ١٨٩٨ مُحنطًا في (طيبا) في وادي الملوك، وبعد نقل الجثة إلى القاهرة وفحصها وُضعت في متحف القاهرة بعد أن كُشف الرأس والعنق، وما زالت حتى الآن.

والسؤال الآن هو: كيف عرف محمد (ﷺ) أن الفرعون منفتاح أُخرجت جثته من البحر وأُنقذت من الغرق، مع أن هذا الأمر لم يُعرف إلا بعد ألف وثلاثمائة عام تقريبًا من نزول القرآن؛ وإنّ كافة الكتب الدينية الموجودة في ذلك الوقت تقول إن فرعون غرق مع جيشه فحسب؟

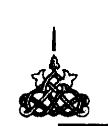
أعتقد أن كل مكابر عنيد ينكر أن القرآن وحي من الله (تعالى) يقف عاجزًا تمامًا عن إيجاد أي تفسير معقول أمام إحدى معجزات كتاب الله ويعترف صاغرًا أن موضوع الفرعون منفتاح المذكور سابقًا ليس له إلا تفسير واحد فقط لا غير، وهو أن القرآن الكريم هو وحي من الله (تعالى) لرسوله الكريم محمد صلوات الله عليه، وأن هذا الموضوع هو أحد معجزات القرآن الكريم الكثيرة.

وهذا ما دعا الدكتور «موريس بوكاي» لأن يقول: يا لها من التماعة عجيبة للآيات القرآنية، تلك المختصة بجسد فرعون المعروض في صالة المومياءآت الملكية للمتحف المصري في القاهرة، والتي تقدم لكل باحث في معطيات الاكتشافات الحديثة براهين صحة الكتابات المقدسة.





فرق البحر
طوق النجاة لبني إسرائيل



﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة ٥٠]. إن الله (سبحانه وتعالى) يمنُّ في هذه الآية على بني إسرائيل الذين كانوا دائمًا يجحدون فضل الله (تعالى) عليهم.

وما من قوم أكرموا من قِبَل الله (سبحانه) أكثر من بني إسرائيل، ويلاحظ القارئ لكتاب الله أن الله (تعالى) ذكر بني إسرائيل كثيرًا وأطلعنا على شأن بني إسرائيل بأنهم كانوا كلما أكرمهم الله ازدادوا في طغيانهم وعصيانهم لله وقتلهم أنبياء الله بغير حق، والآيات كثيرة جدًا يذكر الله (تعالى) فيها فضله ومنَّته وكرمه على بني إسرائيل ويذكر أيضًا جحودهم وكفرهم وعصيانهم كقوله (تعالى): ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٤٧].

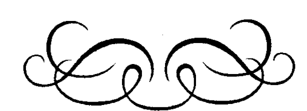
فقد قدم الله الرحمن الرحيم التواب لبني إسرائيل كل ما يرجونه ويتمنونه ويطلبونه، ومع ذلك ما زادهم ذلك إلا كفرًا وعصيانًا وأخيرًا ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله وتركهم يتيهون في صحراء سيناء أربعين سنة، ومن أعظم الفضل على بني إسرائيل من الله هذه الآية الكريمة: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾ [البقرة: ٥٠].

إنها معجزة من الله (سبحانه وتعالى) رآها بنو إسرائيل رأي العين وعلموا أن هذا العمل العظيم لا يمكن أن يقوم به سحرة ولا جن ولا البشرية كلها لو اجتمعت.

ففرق الله البحر إلى قسمين وجعل بينهما طريقًا يابسًا يستطيع بنو إسرائيل الهاربون من فرعون وجنوده الدخول فيه ثم المسير من خلاله والهرب إلى الجهة الثانية فيصبحون في مأمن من فرعون وجنوده.

ومع ذلك لما رأى فرعون وجنوده أن البحر قد فرق قسمين دخلوا فيه قاصدين اللحاق ببني إسرائيل للقضاء عليهم جميعًا ولكن الله (سبحانه) لما دخل فرعون وجنوده أطبق عليهم البحر ثانية فاستغاث فرعون لما أدركه الغرق، وقال آمنت برب موسى وهارون، .ولكن الله عليم ومطلع على نفوس خلقه ويعلم أنه كاذب منافق فأغرقه الله وأنجاه ببدنه ليطمئن بني إسرائيل، ويكون في ذلك العبرة والعظة لأهل الشرك والكفر.

وكان هذا المشهد العظيم أمام عيون ونظر بني إسرائيل ورأوا بأم أعينهم كيف غرق فرعون وجنوده وكيف أن الله كان معهم فأنجاهم وما يحملون بقدرته وإرادته، ومع كل هذا فإنهم ظلوا فاسقين كافرين بنعمة الله جاحدين لها، والآية إعجاز عظيم من الله، وهي مشهد لا يستطيع التاريخ نسيانه وما تراه الجموع الحاشدة أو أمة كاملة لا ينقص التاريخ منه شيئًا، ويكفي بني إسرائيل هذا الحدث العظيم ليعيشوا بعده في ظل إيمان قوي لا يزعزع، فلو أن فرق البحر إلى قسمين ونحن في نهاية هذا القرن العشرين ورآه الناس بأعينهم لآمن كل معاند ومكابر. فهي قدرة من الله لا يستطيعها الإنس والجن لو اجتمعا، وليس هناك من قانون يجعل الماء يقف على جنبه أو سيفه لفترة من الزمن ولو كان جزءًا من الثانية.





من دلالات القدرة

البحر و الفلك
والسموات والأرض
واختلاف الليل والنهار
وما ينفع الناس



البحر والفلك



﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

إن الذين يتفكرون... آناء الليل وأطراف النهار في خلق السموات والأرض المحصَّنات بقدرة الله سيعلمون عظمة الخالق وقدرته التي لا حدود لها مطلقًا، فهذه السموات التي لا يستطيع بشر ولا مجموعة أو دول أن تصفها الوصف الحق على الرغم من كل هذه الاكتشافات العلمية الهائلة التي ظهرت في أواخر القرن العشرين، يقول أحد علماء القرن العشرين في علم الفلك إن ما اكتشفناه في هذه الساعة وما علمناه عن هذه القدرة العظيمة التي هي في السماء لا تتعدى أن تكون فلزات للسماء الأولى فقط. فكل هذه النجوم الهائلة الحجم وكل هذه المجرات التي تحوي في مداها مليارات النجوم العظيمة الاتساع ليست بشيء بالنسبة للسماء؛ لأنه كلما اكتشفوا بعدًا آخر للسماء ينطوي هذا البعد على بعد آخر باكتشاف مجرات أخرى تبعد عنا ملايين السنين الضوئية، ولأهمية السماء وما فيها حثنا الله على التفكر فيها والتأمل في خلقها لنعرف وندرك ونحس بعظمة الخالق العظيم.

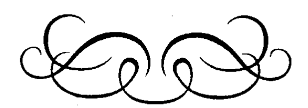
لقوله (تعالى): ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وما طلب الله منا أن نفكر في خلق الأرض لعظمتها فهي لا شيء أمام

هـذا الكون السحيق غير المتناهي، ولكن بما أنها الكوكب الملموس بالنسبة لنا الذي نعيش فيه ونحس وندرك قـدرة الله في خلقه وخلقنا، وندرك قدرة الله في الأرض من جبالهـا ووديانها وحيواناتها فهي الأقـرب لنا للتفكير في الله (سبحانه).

وأما مـعجـزة الله في تقلبنا في اليـوم بين الليل والنهار فـهي معـجزة وفضل من الله وقد سـألنا الله في كتابه لو أنه أحال النهار سـرمدًا فذلك لا شك سيحـيل حياتنا إلى عذاب عظيم، فتـعاقب الليل والنهار على الأرض أكبر رحمة من الله لعباده.

وأمـا تلك السفـن (الفُلك) التي تعـبر البـحار والأنـهار طالبـة الرزق والمعـرفة فـالله هو المهيء لها والصـانع لهـا، ولولا فضل الله علينا لما قـدر للأشجار وما فـيها من خشب أن يكون قانونها الكثافي أقل من قـانون كثافة المياه لتسـتطيع أن تطفو على سطح الماء ولنستطيع... صناعة الـفلك لتحملنا في البحر ونبتـغي من فضل الله (سبحانه) ونبتغـي الرزق الوفير الذي جعله الله في البحر من حيوانات ومعادن وخير كثير.





البحر والبر - والصيد والطعام
بين
الحلال والحرام

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [المائدة: ٩٦].

لقد بيَّن الحق (سبحانه) حلال الصيد وحرامه في هذه الآية الكريمة منذ أن أنزل الله القرآن على سيدنا محمد (ﷺ) وحتى يوم القيامة، ولتبقى هذه الآية قانونًا إلهيًا يُعمل به حتى يرث الله الأرض ومن عليها. فالله يقول إنه أحل لنا صيد البحر وطعامه حُرمًا كنا أم غير حُرَمٍ، وأيضًا يفهم من الآية أنه لا شيء البتة يمنعنا من طعام البحر، فكل ما في البحر فهو حلال لنا وأي نوع دون استثناء من الحيوانات البحرية الطيبة الطرية.

وأيضًا إن كل ما يرميه البحر من طعام على شواطئه فهو حلال أكله والاستمتاع به سواء للقاطنين على شواطئه أم المسافرين الذين يجوبون بقاع الأرض وهذا خير عظيم من الله ومنَّة كبيرة ليس لأن الله أحلَّ لنا حيوانات البحر جميعها بالأكل لنذوق المتعة من اللحم الطري والذي يخرج من البحر ولكن الفضل كل الفضل أن خلق الله لنا في البحر حيوانات بحرية نستطيع أن نأكلها ونستمتع بها ولم يحرمها علينا، فماذا لو كانت حيوانات البحر مرة المذاق علقمًا؟ وأما صيد البر فهو مختلف تمامًا عن صيد البحر فله قانون إلهي آخر، فإذا أحل لنا كل ما هو في البحر حرمًا كنا أم غير حرم، فإن صيد البر له قانون يختلف عن قانون صيد البحر في شيئين:

١ - ليس كل الحيوانات البرية محللة لنا، فهناك المحلل والمحرم كالخنزير والحيوانات آكلة اللحوم وما عداها فهو حلال لنا.

٢ - في البر إن كان الإنسان حُرمًا فقد حرم عليه أي صيد صاده بيده وأكله ولكن يسمح أن يأكل من صيد ما صاده غيره إذا كان غير مُحرم فهو

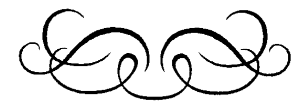
حلال له.

والسؤال: لماذا حرم الله علينا بعض صيد البر؟ وما الحكمة في هذا؟.

نعم لقد ثبت علميًا وبعد التجارب الكثيرة، أن لغذاء الإنسان تأثيرًا كبيرًا على سلوكه، فحينما يأكل الإنسان من لحوم ذوات الأظفار المفترسة والشرسة كالنمر والثعلب فإنه يتطبع بطبعها وهذا يتنافى مع طبيعة الإنسان اللطيفة، وأما لحم الخنزير الذي حرم علينا فقد ثبت بالعلم والتجربة أن لحم الخنزير يحمل فيروسات وبكتريا تؤثر تأثيرًا ضارًا على الإنسان وصحته.

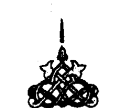
وصدق رسول الله (ﷺ) حينما قال: «**إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم**» [**رواه الإمام أحمد والبيهقي**].

حتمي فما حرم الله على عباده ليس غذاء وليس دواء.

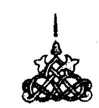




البحر
وكمال علم الله (عز وجل)



البحر ومفاتيح الغيب



قال (عز شأنه): ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا...﴾ [الأنعام: ٥٩].

لقد أقرت هذه الآية الكريمة العلم المطلق الذي لا يحيط به الإنس والجن والملائكة.

إنها آية فيها السر الإلهي الذي لم يطالعه أحد بعلم وإن أزاح الستار قليلاً عن بعض علمه رحمة بالبشرية وإن لم يفعل لتركنا نعيش في ظلام قاتل يفتك بعضنا بعضًا دون أن نعلم سر الوجود أو سببه.

وما رأيت في القرآن الكريم آية تماثلها قوة ورهبة وعظمة إلا قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وكلمة مفاتح كلمة لها مدلولات كبيرة جدًا وهي مجازية ولا تعني المفاتيح كمفاتيح ولكن تعني أن الله عنده العلوم كلها والأسرار كلها والأوامر كلها والقدرة كلها، لا يعلمها إلا هو أي اختصها لنفسه ولم يطلع عليها أحد من الملائكة أو الإنس، وحتى هذا أيضًا رحمة من الله لعباده لأننا غير مؤهلين ولا مهيئين ولا أجسادنا ولا عقولنا تستطيع أن تتحمل غيب الله وعلمه، فهناك الكثير حتى من علوم الدنيا وغيبها لو اطلعنا عليها لفسدت حياتنا وضاق صدرنا وتعبت نفوسنا وعشنا نهارنا في مقت وحزن وتشاؤم مستمر. ومع كل ذلك، فإن عقولنا لا يمكن أن تتحمل غيب الله وعلمه ولا

يمكن لعقولنا أن تتجاوز مداها الذي رسم الله له حدوده، ومهما أوتينا من العلم فهو ضمن الحدود المفروضة على عقولنا حتى لو بلغنا بعض أسباب السماء فإنا لا نملك شيئًا من قدرة الله وعلمه فأرضنا والمجموعة الشمسية كلها لا تشكل كما قال العلماء إلا حبة رمل واحدة في صحراء مترامية الأطراف.

ثم يقول الله ﴿ ويعلم ما في البر والبحر ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وعلم الله ليس له نظيرا لما أوتينا نحن من علم فإننا نعلم ما في بيتنا وما في سوقنا وما تراه أعيننا لكن علم الله أعظم وأكبر مما تتخيل عقولنا الصغيرة.

فالبر واسع كبير فيه ما لا تراه أعيننا وما لا نراه لا يشكل بالنسبة لعلم الله شيئًا، وهذا باب كبير، نأخذ منه على سبيل المثال النبات كيف ينمو ويموت، وكيف تدخله الأغذية بمقدار وبوزن محكم، والحيوان الذي يعيش بدون عقل ويرسل الله له رزقه بقدر معلوم، والديدان والحشرات التي تعيش وتنمو حتى في باطن الصخور والجحور ولا نعلم عنها شيئا، ويعلم الأرض التي هي بحاجة إلى ماء وما بها من خَلْق الله في ظاهرها وباطنها ومقدار حاجتها بحيث لا يقل فتموت الأحياء ولا تتكاثر فيكون الدمار والهلاك. كل شيء بقدر. فإذا كان البر اليابس قد حدد الله علمه بذاته فكيف يكون البحر؟

البحر الذي بقي في علم المجهول حتى وقتنا القريب وكانت البشرية لا تعلم عنه سوى القليل الذي لا يذكر كتعاملهم معه عبر سطحه وفي أماكن محدودة فقط وكانوا يعيشون على ما يطرحه لهم البحر على شواطئه من حيوانات بحرية وحينما تطوروا قليلاً استطاعوا أن يستعملوا الشباك في صيد بعض حيواناته الخفيفة والصغيرة الحجم.

ولما شاء الله أن يُري عباده بعض علمه هيأ لهم الأسباب ليروا عظمة الله وقدرته، فاستطاعت البشرية أن تصنع السفن الكبيرة والغواصات والكاميرات وملابس خاصة للغوص ودخلوا في مجاهل البحر، وكلما ازدادوا علماً وتعمقوا في دراسة أعماق البحار تأكدوا ثانية أنهم لم يصلوا إلى شيء، وأنهم لا يزالون في بداية الطريق.

وآية الله: ﴿ **وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** ﴾ توحي بأن علم الله في البحر كبير جدًا جدًا ولا يمكن أن نصل إلى شيء منه إلا القليل، وما تراه اليوم وما اكتشفه بعض علماء البحر الذين أفنوا حياتهم في دراسة البحار أشياء تبهر وتذهل العقل.

لقد اكتشفوا مئات الألوف من الحيوانات البحرية كل له نظامه، حياته، غذاؤه وطريقته في المعيشة والحياة، ومنها الكبير الذي يبلغ الأطنان ومنها الصغير الذي لا يتجاوز جرامات قليلة.

ولقد اكتشفوا أن البحار وديانًا وجبالاً وأنفاقًا تبهر العقول وتؤكد على قدرة الخالق العظيم، الخالق القادر، الخالق المقتدر.

ولقد اكتشفوا أن لكل بحر نظامه وحياته وماءه وحيواناته وجواهره ومجاهله العميقة.

ولقد اكتشفوا أن ما بين البحار حواجز تمنع اختلاط البحار بعضها ببعض حتى لا تفسد حياة البحار، ولقد اكتشفوا أن ما بين البحار والأنهار حواجز وحجرًا محجورًا، وعلموا أن هذا الحاجز قد وضعه الله حتى لا تصبح حياة الأنهار مالحة عبر مئات والألوف من السنين. وذلك إن حدث لصارت حياة الإنسان على الأرض ... مستحيلة.

ولقد علموا أن في البحـار أغذية للبشرية إن أحسنوا استخدامـها فإنها تكفيهم وتؤمن حياتهم على الأرض.

ولقد علمـوا أن أنواع الكائنات الحية فـي البحار تزيد في تنوعـها عن حياة البر اليابس.

ولقد أكدوا أن في قاع البحر براكين وأخاديد تخرج منها النار، وعلموا أن هذه البراكين والأخـاديد متنفس للحـمم والبراكين الهائـلة في قاع الكرة الأرضية.

ووجدوا أن في قاع البـحار شقوقًا وصدوعًـا تعمل على موازنة الكرة الأرضية، وعلموا أن في البحر قوىً مسيطرة ومهيمنة على أجزاء كبيرة وهي الآمرة والحاكمة ضمن مجالها، كالحيتان العظيمة وأسماك القرش وغيرها من الحيوانات الكبيرة.

وكل ما علموه لا يمثل شـيئًا أمام علم الله، فكل ما يسـبح في البحار رزقه على الله ولا تستطيع البشرية أن تؤمن رزق حوت واحد.

وأين نحن من دقائق الأمـور لمخلوقات تعيش في خفـاء عن أعيننا في مجاهل لا يعلمها إلا الله؟ فسر الخلق يكمن في كل شـيء صغيره قبل كبيره فأين البشرية من مـتاهات البحار وأنفاقها ووديانها وما يـعيش فيها؟ أين هم من ظلمات البحار، هل ما تستعمله البشرية من ضوء ينبعث من فانوس بيد الغواص يكتشف مجاهل البحار والذين تراهم يهزون الحبال لسرعة إخراجهم قبل الاختناق والموت، وأين الغواصـات من أن تدخل تلك المجاهل المحصنة بالصخور والجبال والتي لا تستطيع حتى مـجرد الاقتراب منها خوف التحطم والضياع .

ومع هذا فإن عندي أن دودة في البحر لا يتجاوز طولها ملليمترات أعظم من واد في بحر أو جبل في بحر لأن عظمة الخلق تكمن في متابعة تلك الدودة وتأمين سبل حياتها ورزقها والحفاظ عليها من الهلاك وتوالدها من بيضها وحفظ هذا البيض وهذا النسل.

وأما كلمة الله: ﴿**وَمَا تَسْقُطُ من وَرَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُهَا...**﴾ [الأنعام: ٥٩]. فهذا شأن آخر وعلم آخر وقدرة أخرى سجد لها عقلي.

إنها كلمات من عند الله لا يستطيع قلم مهما أوتي صاحبه من العلم والذكاء أن يعطي التعبير الصحيح والمدلول الواضح لهذه الكلمات التامات، فما أعظمك يا ربي. كيف أعبر عن آياتك وكلماتك؟! وهل نحن مؤهلون أن نقف أمام كلماتك ليكون لنا شرف التفسير والبيان لعظمتك وجلال قدرتك.

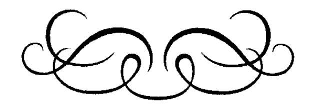
﴿**وما تَسْقُطُ من وَرَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُهَا...**﴾ كلمات هي نهاية العلم وقدرة القدر، تعجز أمامها العقول وتخشع القلوب، فهل تستطيع البشرية كلها لو اجتمعت أن تخضر وتعد ورق شجر غابة واحدة من تلك البقاع الفسيحة في الأرض.

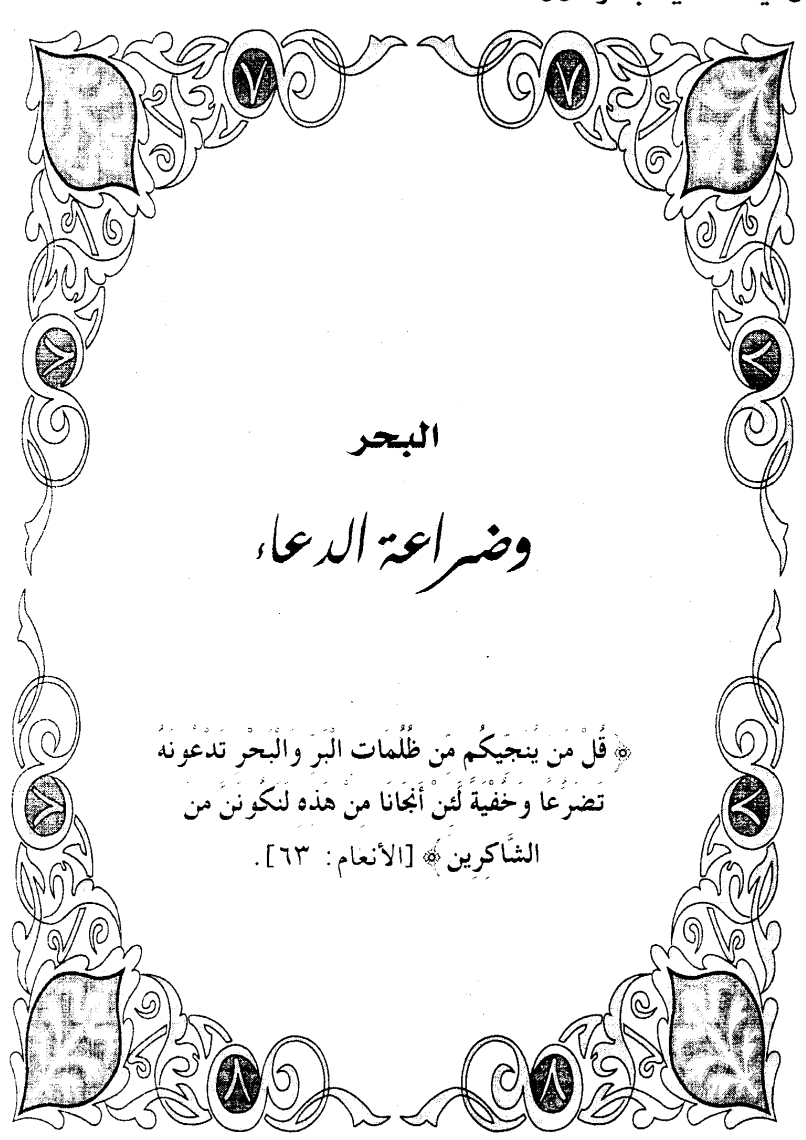
أوضع الله حفيظًا على كل ورقة؟ أم هي مسجلة عنده: خلقها وحياتها ومماتها في اللوح المحفوظ؟ أم أرسل الله الملائكة ليعدّوها ويحصوها ويعطوها زمنًا في خلقها وحياتها ومماتها من أمر الله وقدرته؟ أم هي في علم الله يرقب أي ورقة من شجرة على هذه الأرض؟! فيا ويلنا من مراقبة الله لنا، فماذا عنا نحن البشر وكيف سنقف أمام الله (سبحانه وتعالى) للحساب وهو الذي يعلم السر وأخفى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ◦ ما

يَلْفِظُ من قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد ﴾ [ق: ١٨]. يا سبحان الله رحمتك وعفوك يا الله.

فوالله إني لعلى قناعة أن أقلامنا جميعًا تقف عاجزة أمام التعبير الإلهي العظيم في هذه الكلمات ﴿ **وَمَا تَسْقُطُ من وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا...** ﴾ فهي سر الأسرار وعلم علام الغيوب وقدرة ولا تكون إلا من إله قادر مقتدر يفوق عقولنا وتخيلاتها وتصوراتها لمكنون الأشياء. وصدق الحق (سبحانه) إذ يقول:

﴿ **لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ من ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ [سبأ: ٣].





البحر

وضراعة الدعاء

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٣].

هـذه الآية الكريمة تشير إشـارة واضحة أن الأمر كله لله وليس للإنسان إلا الله فلا كـاشف لضـر أو ضياع أو حـزن إلا الله، وقد أشـار الله في آية أخرى لهـذا الأمر وذلك تأكيـدًا بأن الإنسان إذا أحاط به أمر جلل يدعو الله ويخلص في دعائه وقد بيَّن الحق (سبحانه) حال قوم بقوله (تعالى):

﴿ **وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ** ﴾ [لقمان: ٣٢].

الله (سـبـحانه وتعـالى) هو الرحـمن الرحـيم الرؤوف بعـبـاده بَرِّهم وفاجرهم ما دعاه داع في مصيبة ألمت به إلا أجابه الله عاجلاً أم آجلاً.

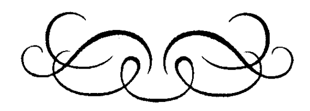
وهـذه الآية تصف عـبادًا للرحمن كـانوا في البحر يمخرون عـبابه في فُلك قاصدين الرزق أو الحرب والفتح.

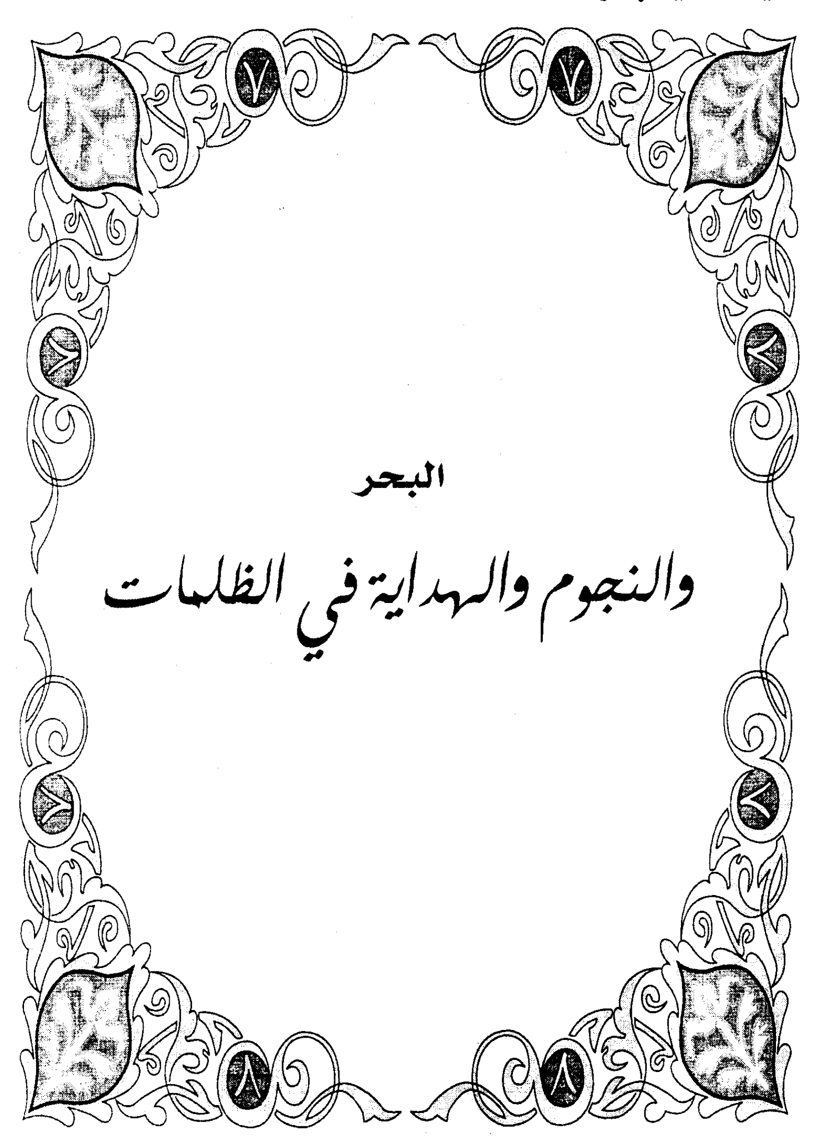
والبحـر لا تملكه دائمًا الريح الطيـبة الهـادئة التي تسيِّر الـفلك بهدوء وراحة واتزان، ولكن البـحار مليئة بالمخاطـر القاتلة والمفاجئـة وإحدى هـذه المخاطر القاتلة الريح الهائجة التي تخلف أمواجًـا ترتفع حتى تصبح كالجبال طولاً وتصبح السفن فجأة وسط أمـواج هائجة تلفهم من كل حدب وصوب ولا يستطيع أحد إيقافها إلا الله القادر المقـتدر، والإنسان لضعفه لا يجد في ملماته ومصائبه منقذًا إلا خالقه القادر المقتدر فيدعوه والدعاء في هذه الآيات تضرعًا من عباد الله الذين غشيهم الموج فجأة في البحر بعد أن كانوا يسيرون في طمأنينة وأمان فـأصبح عليهم الموج كالظل فأحالهم من نهـار تضيء فيه الشـمس إلى ظلام دامس لا يرون حتى أنفـسـهم وسط هـذا الموج الهـائج فنادوا وناجوا الله المنقذ لهم من هـذه المحنة التي تحتـم الموت عليهم جميعًا،

ولكن الله برحمته أنقذهم جميعًا وأوصلهم إلى البر سالمين فلما وصلوا إلى بر الأمان فمنهم مقتصد ومنهم من كان جاحدًا لفضل الله سبحانه (وتعالى) الذي أنقذهم، وأعدَّ الله إنقاذهم آية ومعجزة من عنده، ويصف هؤلاء الذين جحدوا بمعجزة الله في إنقاذهم أنهم كافرون بنعمة الله وفضله.

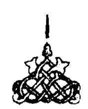
ومعجزة هذه الآية الكريمة أن الله يصف وصفًا دقيقًا حيًا للموج الهائل الذي لا يكون إلا في أواسط البحار والذي يبلغ الجبال طولاً، ومن ذا الذي يستطيع في زمن رسول الله أن يصف وصفًا حيًا لما يتشكل بين الأمواج الهائجة الهائلة من ظلام دامس تسببه الظلل التي تتكون من الأمواج التي ترفعها الرياح بأمر الله.

هذا الوصف الدقيق الحي لا يكون إلا من الله الخالق الذي يعلم سر خلق الأشياء كلها في برها وبحرها، وهذا الوصف لا يأتي إلا من عند عليم حكيم خالق البحار بقدرته، العالم بما يلج فيها وما يخرج منها وما يحدث فيها.





البحر
والنجوم والهداية في الظلمات



ظلمات البر والبحر

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٧].

النجوم علم عظيم وتزيين السماء بها علم أعظم، لقوله (تعالى):

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك: ٥].

فحقيقة علم النجوم كان مبهمًا تمامًا إلى عصر قريب جدًا، والإنسان حينما يسمع أن الله سبحانه خلق النجوم وجعلها زينة في السماء، ومن ثم جعلها رجومًا للشياطين ثم جعلها هداية للإنسان في متاهات الأرض والبحر في الليل البهيم المظلم من يقرر هذا؟ ومن يقول أن حقيقة النجوم هذه للهداية وللزينة وللرجم، إذًا الذي يقرر حقيقة النجوم على هذه الطريقة يعلم أن تلك النجوم التي نراها في السماء كعقدة الإصبع أو كمصباح صغير جدًا خالية من أي حياة على ظهرها وخلقها ووجودها مرهون بالزينة وهداية الطريق والرجم للشياطين.

هذا القرار أمر جلل فإذا كان الناس في زمن النبي محمد (ﷺ) لا يستطيعون الارتفاع في السماء أكثر من خمسين مترًا إلا بشق الأنفس وتعاون الكثير في هذا، فكيف يعرفون حقيقة النجوم تلك التي تعد بالمليارات وتبعد عنا مليارات الأميال، ثم كيف يحددون وظيفتها، إن كل معاناة البشرية في هذه الأيام وبعد الحصول على أرقى أنواع الأجهزة والتلسكوبات الراقية هل

توجد حياة بشرية أو غير بشرية على كواكب أخرى غير الأرض كل هذا البحث المجهد المضني ولم يتوصلوا إلى شيء حتى الآن فما معنى هذا؟

معناه: أن الذي سيعرفونه في النهاية ذكره القرآن الكريم.

وقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا ﴾ [الأنعام: ٩٧].

﴿ ولَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ [الملك: ٥].

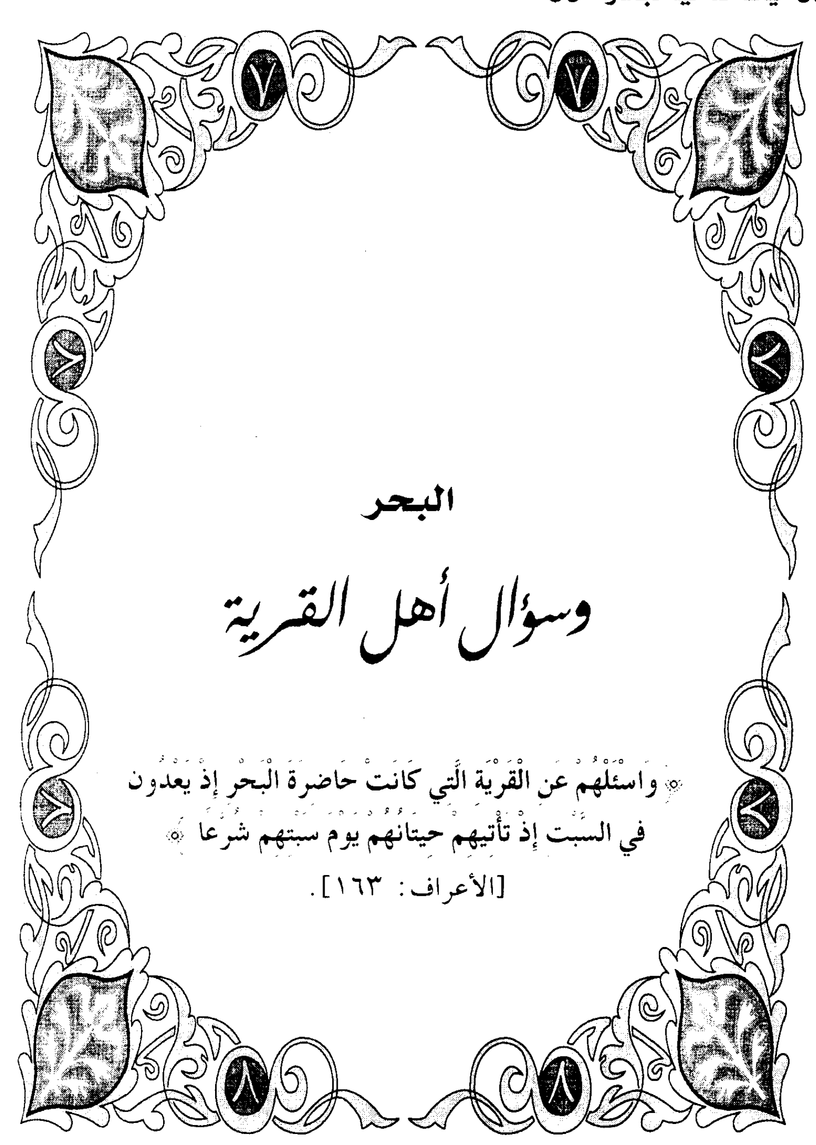
﴿ وزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [فصلت: ١٢].

﴿ ويَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

فما أكرمك أيها الإنسان لقد جعل الله لك كل هذه النجوم والكواكب والتي تعد بآلاف المليارات زينة للسماء وعلامات لهدايتك في مجاهل الأرض ومتهاتها وفي ظلمات البحر، وجعلها رحمة منه لتعرف مواقيتك وتساعدك في حياتك الدنيا. قال (تعالى): ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

في هذه الآية يقول الله إنه فضل ووضح تلك الآيات العظيمة الواضحة السهلة للناس ولأقوام تعلم أن الله هو الحق وأن نبيه حق وكتابه حق وأن الجنة حق والنار حق والله أعلم، فكل شيء في السماء أو في الأرض أو في البحر خلقه وأوجده من أجل الإنسان.

... يا سبحان الله! لو أنك تعلم أيها الإنسان مدى إكرام الله لك لبت ليلك وعشت نهارك ساجدًا لله.



البحر

وسؤال أهل القرية

﴿ وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾

[الأعراف: ١٦٣].



هـٰذه الآيـة الكريمة من سورة الأعـراف بخصوص بني إسـرائيل وهي موجهة إلى سـيدنا محمد (ﷺ) بأن يسألـهم عن هـٰذه القرية «المدينة» التي كانت على شاطئ بحر القلزم «البحر الأحمر» وتسمى أيلة.

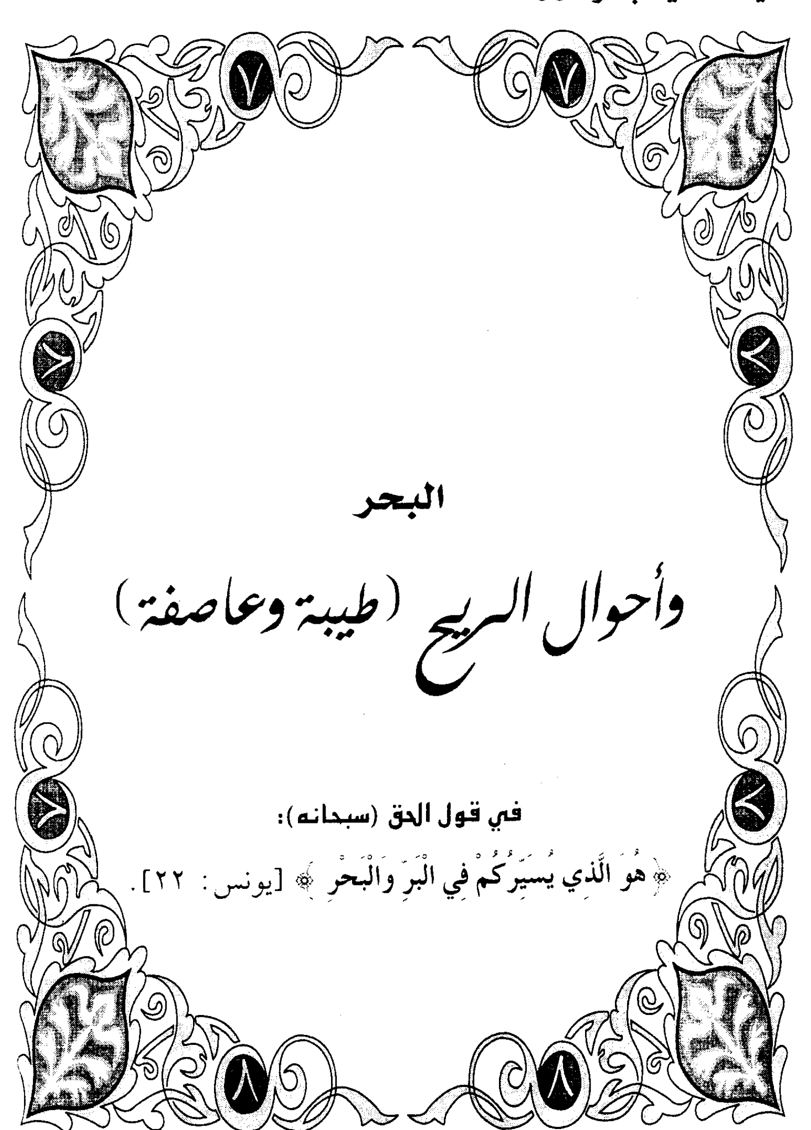
اسألهم يا محمـد عما فعل الله بأهل هـٰذه القرية عـقابًا لهم على عدم تنفيذ أمر الله (عز وجل) والآية تعني أنكم أيهـا اليهود تملكون تاريخًا أسودًا وماضـيًا سيـئًا بما اقتـرفته أيديكم، فـالله (سبحـانه وتعالى) أمر اليـهود ألا يصيدوا من البحر شيئًا يوم السبت، ولكن أهل هـٰذه القرية ويزيد عن ثلثهم عصوا أمر الله (سبحانه وتعالى) وجلسوا على شاطئ مدينتهم أيلة يصطادون السمك مخـالفين أمر الله. فعاقـبهم الله بأنه سوف يرسل لهم حيـتانهم يوم السبت حين يصيدون السمك بهذا اليوم.

وهـٰؤلاء لما ازدادوا في معصية الله (سبحانه وتعالى) فسقًا وضلالاً ولم ينهوا أنفسهم عن المعصية مسخهم الله قردة خاسئين وجعلهم عبرة لغيرهم.

ما أنزل الله البلاء بقـوم إلا من فسقهم وعـصيانهم لأمر الله (سـبحانه وتعالى) كقوم عاد وثمود ولوط، ومن الأقـوام الذين عصوا الله كثيرًا وقتلوا الأنبيـاء وكذبوهم بنو إسـرائيل، ولذا كان عقـاب الله عليهم شـديدًا وكلما مدهم الله بالنعيم والخـير وفضلهم على كثير من خلقـه زاد طغيانهم وزادوا فسقًا وضلالاً. هـٰذه الآيـة هي سؤال من الله لبني إسرائيل عن طريق سيدنا محـمد، ومن خلال القرآن الكريم، والمقـصود من هـٰذه الآية إهانة اليـهود وتقديم تاريخهم الأسود بين يديهم عن طريق القرآن الكريم.

والبحر في هـٰـذه الآية يمثل عطاءً ورزقًا وخيرًا لما يُخـرج لنا من طعام وغذا قد وهبه الله لنا بفضله وكرمه.





البحر
وأحوال الريح (طيبة وعاصفة)

في قول الحق (سبحانه):

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢].

هذه الآية الكريمة تمثل حركة دائرية للإنسان في الأرض والبحر سعيا حول التكليف الإلهي لدورة الحياة والوجود.

وهذه الآية تعطي حقيقة لا جدال فيها أن الأمر كله لله سواء بالحركة أو الثبات، فالإنسان مسيَّرٌ بإرادة الله في الحياة.

ونعم الله على الإنسان لا تحصى، فكل شيء تراه العين أو تسمع به الأذن هو من أمر الله وفضله وليست العملية مقصورة على فضل دون فضل فالفضل لله عامة.

والله في هذه الآية يوضح أن الإنسان حينما يمشي أو يرحل أو يسافر فلا بد له من معين، ففي البر الذي جعل الله لنا من فضله حيوانات هيأها لنا لاستخدامها في حلّنا وترحالنا كالجمل والحصان والحمير، وأما في البحر فقد هيأ الله لنا صناعة الفلك «السفن» لنستطيع بها أن نسير فوق الماء، وهذا الفضل قد يستهتر به بعض الناس ويظنون أن الطبيعة هي التي وهبت لنا شجرًا نستطيع أن نصنع منه سفينة نجري بها في البحر والنهر، ولو لم يكن أمر صناعة الفلك «السفن» عظيمًا لما عده الله منَّة عظيمة منه على عباده، فالله هو الذي أرشد نوحًا لصناعة الفلك ولم تكن معروفة من قبل.

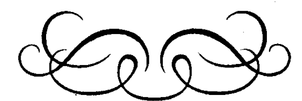
إن هذه الآية توضح لنا مدى جحود ونكران الإنسان لفضل الله (سبحانه) ويبين الله لنا أن الإنسان إذا ما مسه الضر فهو ذو دعاء عريض وإن استجاب الله له أعرض ونأى بجانبه.

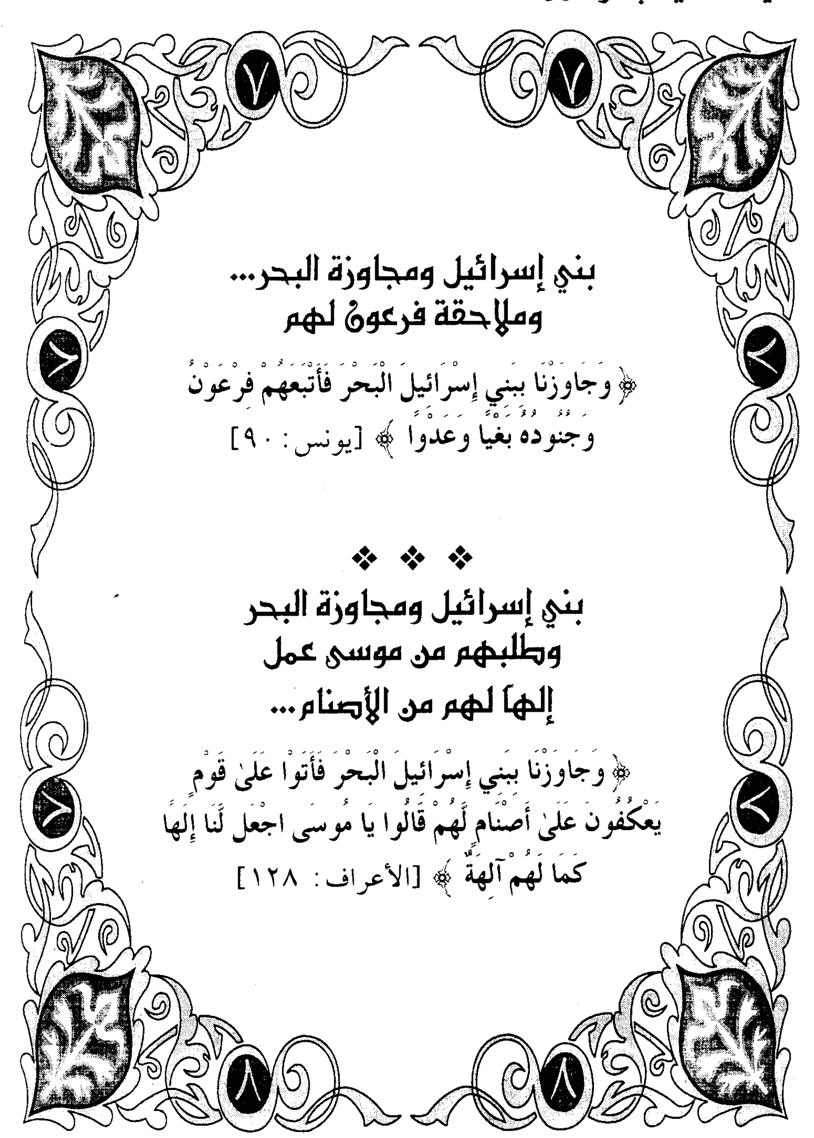
وهذه حال من تتحدث عنهم الآية حيث كانوا في البحر يسيرون بهدوء وطمأنينة، فالريح التي تسير السفن تؤدي دورها بمنتهى التأني والأمان فكانوا فرحين في سيرهم مطمئنين يأكلون ويشربون ويتسامرون. ولكن لـ

أرسل الله عليهم ريحًا عاصفًا تقلع الشراع وتهددهم بالموت وترى الأمواج فوقهم كالظلل فحاك بهم الظلام الدامس والأمواج كالجبال وظنوا أنهم هالكون لا محالة.

هنا دعوا الله رجاء إنقاذهم من الموت المحتم وأخلصوا في دعائهم وأوثقوا العهد مع الله في هذا الدعاء لئن أنجيتنا من الموت لنكون من عبادك الشاكرين الحامدين العابدين يا الله يا رحمن يا رحيم.

ولكن هيهات هيهات إن الإنسان لكفور ظلوم ما إن يكشف الله عنه الضر حتى ينسى ما قال وما عاهد ويعود إلى ما كان عليه إلا من آمن وعمل عملاً صالحًا.





بني إسرائيل ومجاوزة البحر... وملاحقة فرعون لهم

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ﴾ [يونس: ٩٠]

❖ ❖ ❖

بني إسرائيل ومجاوزة البحر وطلبهم من موسى عمل إلهًا لهم من الأصنام...

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]

في هاتين الآيتين من سورة يونس والأعراف يتحدث الله فيهما عن فضله وكرمه بأن رحم بني إسرائيل وأنجاهم من الكرب العظيم وجاوز بهم البحر بعد أن فرقه فرقين جعل كل واحد منهما كجبل وطود عظيم وسلك لهم في البحر طريقًا يهربون منه خوفًا من فرعون وجنوده الذين ما فتئوا يلحقونهم قصد القتل والاستحلال.

وفي الآية الأولى يخبرنا الله (سبحانه وتعالى) أن فرعون صمم وعزم على الفتك ببني إسرائيل ولما علم أنهم توجهوا نحو البحر هربًا لحقهم بجنوده الأقوياء المجهزون ظلمًا وبغيًا وقرر قتلهم والاعتداء عليهم واستحلال نسائهم وتشريد ما بقي منهم، ولكن الله كان له بالمرصاد، فظن فرعون أن طريق البحر الذي سلكه الله بقوته طريق عادي فاقتحمه ودخل به، وبلغت قلوب بني إسرائيل الحناجر وظنوا أنهم هالكون لا محالة، وما علموا أن الله معهم، فلما اقترب من بني إسرائيل ضمَّ الله البحر ثانية وأغرقه وجنوده فاستغاث وقال آمنت برب وإله بني إسرائيل، ولكن الله يعلم أنه كاذب ومنافق فأغرقه وأنجاه بجسده حتى يكون عبرة للآخرين.

وأما الآية الثانية من سورة الأعراف فإن الله يذكر رحمته ببني إسرائيل بعد أن أنجاهم وجاوز بهم البحر الذي سلك الله منه طريقًا بقدرته وبعد أن خلصهم من فرعون وجنوده وجعله الله آية للناس.

وبعد أن رأوا معجزة الله (سبحانه وتعالى) بشق البحر وجعله الله فرقين وسلكوا فيه ورأوا بأعينهم هلاك؛ فرعون وجنوده وشاهدوا فرق البحر فرقين وكل فرق يقف كالطود العظيم وهم يعبرون وبعد أن أنقذهم الله وعلموا هذا مروا في سفرهم الذي أمروا به على قوم لا يعلمون عن الله

شيئًا قد صنعوا لأنفسهم آلهة من الحجارة وما شابه ذلك فتحركت في نفوسهم عبادة الأصنام والأشخاص فسألوا موسى أن يجعل لهم إلـهًا شبيهة بآلهة هؤلاء وأسوة بهم.

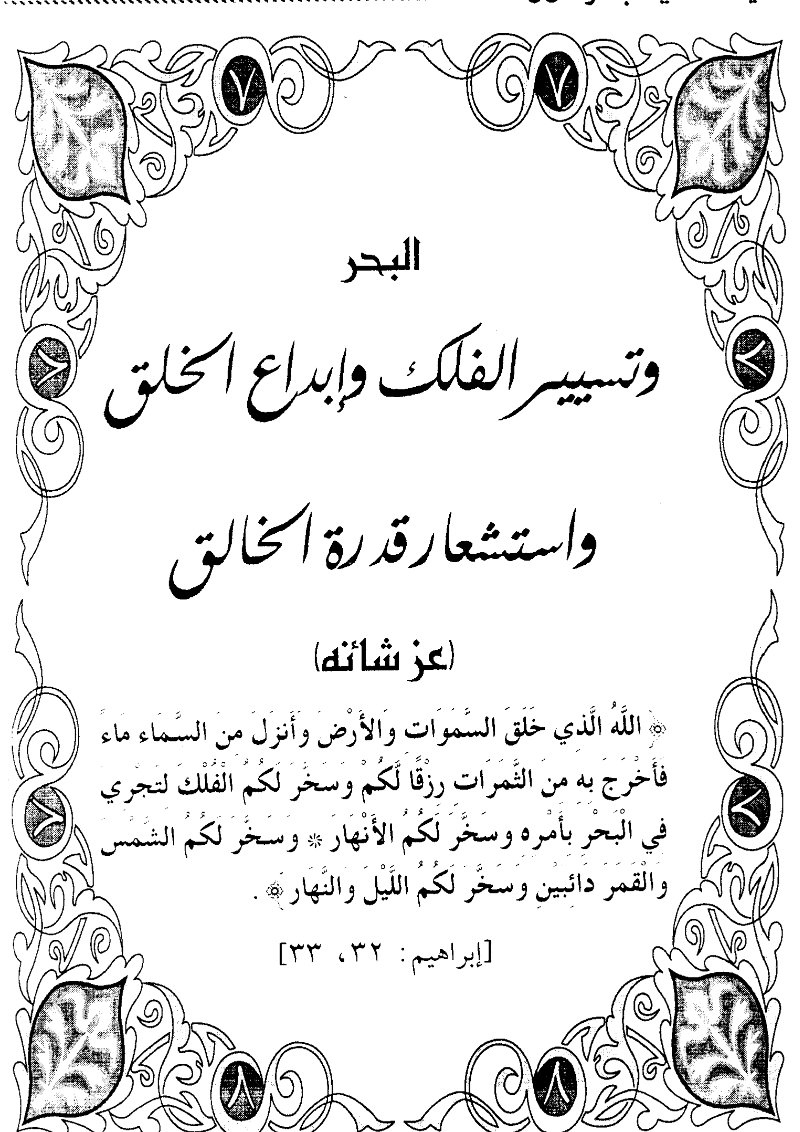
فأجابهم موسى مستغربًا ما يقولون بعد أن رأوا معجزات الله بأنفسهم وأنكروا وحدانية الله: إنكم قوم جهلة فاسقون منكرون لفضل الله عليكم أنسيتم أم تناسيتم فضل الله وعظمته وقوته وجبروته وتعودون الآن إلى الأصنام.

وماذا في الآيتين؟

* إن فرق البحر فرقين وتمهيد الله طريقًا بينهما ليسلك بنو إسرائيل البحر بأمان وطمأنينة آية ومعجزة من الله جعلها الله شاهدًا قويًا على بني إسرائيل المنكرين والجاحدين لوحدانية الله.

* إن بني إسرائيل كانوا وما يزالون منكرين لفضل الله، والتاريخ أكبر شاهد على ضلالهم وفسقهم ونكرانهم لفضل الله (عز شأنه).





البحر

وتسيير الفلك وإبداع الخلق

واستشعار قدرة الخالق

(عز شأنه)

﴿ اللَّهُ الَّذي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَينِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾.

[إبراهيم: ٣٢، ٣٣]

هـذه الآية الكريمة إخبارية، فالله (سبحانه) يعلمنا ويخبرنا أنه المختص بهـذا الفضل العظيم، فضل الخلق وفضل الغيث وفضل تسيير الفلك وفضل تسخير النهار، فهي من الله لا يد لأحد فيها ولا اختصاص لا من ملك ولا من إنس ولا من جن إنما الفاعل والمقرر والمقتـدر عليها هو الله الذي لا إلـه إلا هو العالم العليم.

﴿**الَّذي خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾.

هو الله ولا ينكر هـذه الحقـيقة أحد البتة مـؤمن أو كافر والله أعلم بما في نفوس خلقه، لذا قرر في محكم آياته: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [العنكبوت: ٦١].

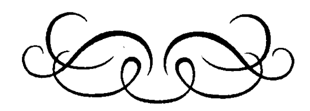
إذًا هـذه المسألة لا خلاف فيها من أهل الأرض كلهم برهم وفاجرهم، فخلق السمٰوات والأرض يفوق عظمة خلقـها عقل البشر في أن يتصور أنه من الممكن أن يخلقها غير الله، والدليل على ذلك ولنقل أن البشرية وصلت في المستـقبل القريب أو البـعيد إلى أرقى مـا يتصوره العـقل ويفوقه خـيالا وملكت البشرية على الأرض كل الأسباب فـهل نستطيع أن نتخيل أن سكان الأرض ولو اجتمـعوا كلهم أن يخلقوا قمـرًا يسبح في الفضاء كمـثل قمرنا هـذا وهو من أصغر الكواكب وأقلها شأنًا في السماء، طبعًا هـذا لا يمكن أن يكون، ويدخل في باب المستحيل الأبدي، وهـذا دليل عـلى مستوى عجزنا وضعفنا وقلة حيلتنا.

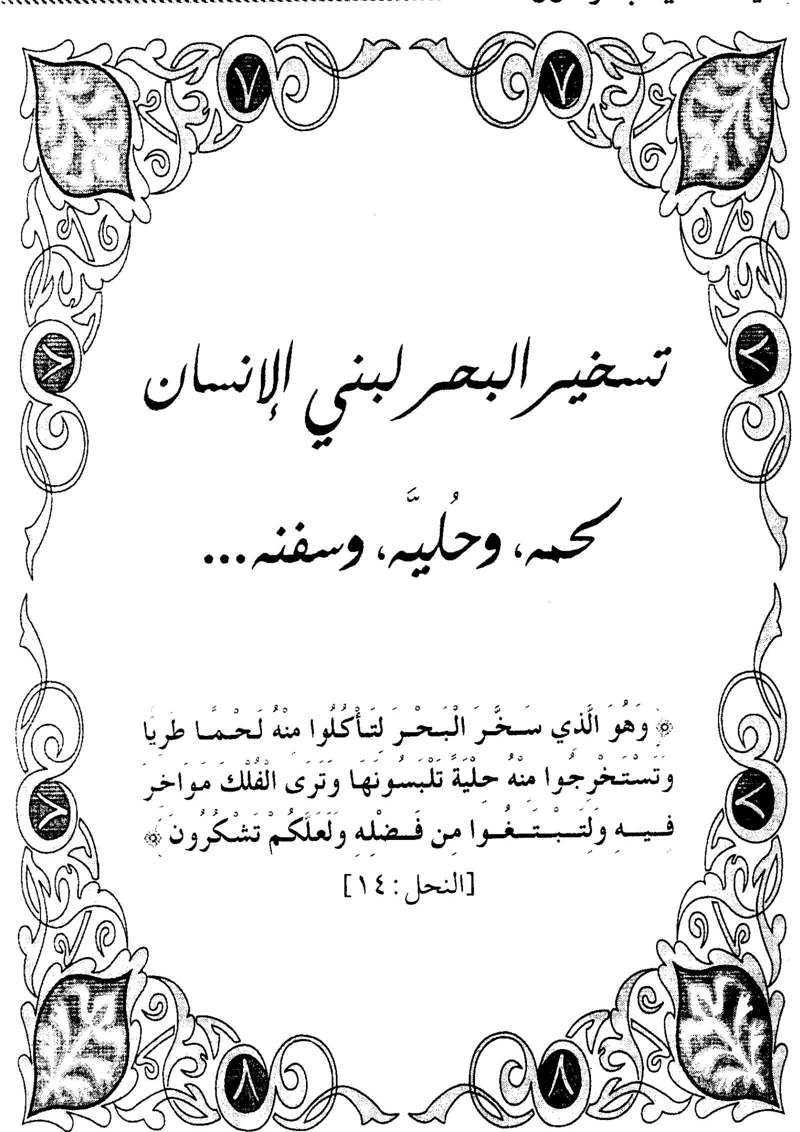
وأما الماء الذي ينزل رحمـة على البشر من السماء فهـو من اختصاص الله وعلمه وفضله وأول ما يُزجي السـحاب ويتآلف، فالله وحده الذي يعلم

طريقه وأي أرض خُلق لها ليُحييها بـعد موتها ويُخرج الرزق الوفير من ثمر ونبات وشجر ليوفر لنا سبل الحياة.

وهـٰذه الفلك «السـفن» تجري في البحـر بأمره، فمن سـوَّىٰ لها سطح البحـر؟ ومن يرسل الريح الهادئة الناعمـة تقوىٰ أحيـانًا وتهدأ أحيـانًا؟ بأمر الله، وحيوانات البحر العملاقـة بأمر الله، ولا يملك الإنسان حيالها أي قدرة فإن لم يرد الله أن تجري السفن في البحر أرسل علينا الرياح الهوالك وجعل فوقنا أمـواجًا كـالجبال فـيكون الهلاك علىٰ أثرها وأرسل حـيوانات البـحر العملاقة فأعاقتنا، كل شيء بأمر الله.

وأما الأنهار وما تحويه من خير عظيم لبشر بما فيها من ماء عذب فرات لنا وبما فـيهـا من الحيـوانات ذات اللحـوم الطرية والتي هي غذاء للإنســان والفلك التي تجـري في الأنهار بأمـر الله، والحرث والزرع الذي يُسـقىٰ بماء الأنهار العذبة كلها فضل وخير جاءنا من الله ولكن أكثرهم لا يعلمون.





تسخير البحر لبني الإنسان

لحم، وحُليَّة، وسفن...

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[النحل: ١٤]

الآية الكريمة تخص البحر سواء البحر المالح أو النهر العذب فكل يخرج منه رزق وخير للناس.

وأكبر فضل لله (سبحانه وتعالى) على عباده أن سخر لهم البحر وجعله نافع للناس بأمره وجعل كل ما فيه من حيوانات وحلية وماء في خدمة بني البشر.

وتخيل بفكرك وعقلك لو كان طعم كل الحيوانات البحرية مرًا علقمًا.

وتصور من ناحية أخرى أن مياه البحار والأنهار خالية تمامًا من أي أثر للحياة لا حيوانات ولا حلي ولا معادن.

وتصور أن المياه التي أوجدها الله (سبحانه) في البحار والأنهار ترفض أي جسم ليطفو عليها، إذا تصورت هذا ثم تصورت العكس بما ترى عينك وتسمع عن الخبر العظيم الذي هيأه الله (سبحانه) لنا فعندها تدرك فضل الله ونعمه التي أعطاها لبني البشر.

أليس الخالق لهذا هو الله خالق البحر والنهر، وحيوانات البحر، والحلية والمواخر، أفمن يخلق كمن لا يخلق؟ أفمن يجزل الخير والعطاء كمن لا يعطي شيئًا؟ فلو أن الخير بيد ابن آدم لأمسك على العالم وما أعطى إلا نفسه لقوله (تعالى):

﴿ **قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا** ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

هذا هو الله يمنح الخير والعطاء والفضل والرحمة، وهذا هو ابن آدم

إن وقع الخير بيده منع لقوله (تعالى): ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢١].

فإن نعم الله علينا لا يمكن حصرها، ومن أكبر هذه النعم علينا نعمة البحر وما فيه من الخير العظيم والرزق الوفير والحياة الجميلة الهانئة.

فلو أن الإنسان يدرك هذه النعم التي أجزل الله العطاء لها لبقي حال لسانه يردد الحمد لله والشكر لله ولكن الإنسان كفور بنعمة ربه.

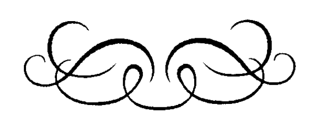
بل وأكثر من هذا لو زاد رزق العبد وعاش في نعيم كبير فإنه ينسى الله وينسى تلك النعم التي هو فيها، لقوله (تعالى): ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦، ٧].

ولو زاد الله من نعمه على عبده لزاد العبد في فسقه وبغيه وضلاله: لقوله (تعالى):

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمحافظين على الصلوات والذاكرين الله كثيرًا فهؤلاء يدركون نعمة الله ويقدرونها ويحمدون الله في السراء والضراء.

ولا يسعنا أمام فضل الله العظيم إلا أن نكون عبادًا شاكرين حامدين لنعمه وكرمه وفضله.





البحر يحمل الإنسان بقدرة.. مبدع الأكوان...

﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ .

[الإسراء: ٧٠]

ما أجمل وأعظم هذه الآية الكريمة من رب كريم فإنها قوة وعز وكرم لبني آدم على الأرض ... إنها الجاه والسلطة والخلافة والسيادة من الله الكريم العزيز للبشر الخلفاء في أرضه.

لقد ارتضى الله (سبحانه وتعالى) أن يكون البشر خلفاء على الأرض بما وهبها من قلب وعقل تستطيع بهما أن تتحكم في الأرض وتحكمها وتبتغي عزّ وطاعة الخالق.

فالكرم والنعمة التي وهبها الله لعبده... على الأرض لا تُعد ولا تُحصى لقوله (تعالى): ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وإذا أتينا كبيرها وتركنا صغيرها حتى لا يطول بنا المقام ...

فأول مشاهد الكرم جاءت لحظة خلق سيدنا آدم، فقد أمر الله (سبحانه وتعالى) الملائكة ـ ولم يستثن منهم أحدًا ـ بالسجود لآدم، وهذا إكرام عظيم من الله (سبحانه وتعالى) وإن لم يكن السجود لذات آدم، ولكنه سجود لعظمة الله في خلقه للإنسان بما حواه من عقل وقلب استطاع أن يدرك قدرة الله في كونه وأرضه، وقد قال الله (تعالى): ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: ٣١].

ومن ثم ارتضى الله لآدم وذريته أن يكونوا خلفاء في الأرض التي وهبها أسباب الحياة والوجود بقدرته وعلمه وجعل كل ما في هذا الكون الذي لا ندرك أوله وآخره مرهونًا بوجود ابن آدم على الأرض ونهايته مرهونة بنهاية ابن آدم.

قال (تعالى): ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧].

سبحان الله ... ما أعظم وأكرم هذا الخالق العظيم الذي لا نزال ننعم بعظمته وكرمه، وصدق الله حيث قال: ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الحج: ٧٤].

ومن أوجه الكرم العظيم من الله على خلقه أن هيأ لهم بإرادته وقدرته خلقًا آخر ومن نوع آخر يحملهم على الأرض فقد خلق الله لنا هذه الحيوانات التي تحملنا في مجاهل الأرض وصحرائها وجبالها ووديانها وكفانا العناء والمشقة والتعب: كالحمير والبغال والخيل والجمال فكلها تعمل على راحة ابن آدم وخدمته وجعل الله بقدرته، كل نوع منها يعمل في مسلك مختلف على الآخر، فالحمير والبغال للسهول والوديان، والخيل للتلال والجبال والسهول، والجمال للصحراء والطرق القاحلة، فإنها تتحمل الجوع والعطش فترات طويلة ... يا سبحان الله.

فمن جعل الجمال تتحمل العطش، ومن جعل الخيل للسير السريع، والحمير للحمل البطيء؟ ... ولماذا خلق الله هذه الحيوانات ولم يكرمها كما كرم ابن آدم فخلق لها ما تركبه وتريحها كما يريحنا؟

لأن الله لم يكرم هذه المخلوقات كما كرمنا، فالله يرحمها برحمته وهو لم يخلقها ليكرمها، فالكرم الإلهي اختصه الله بخلق دون خلق ورحمته وسعت كل شيء.

والبحر هذا المسلك الكبير الذي لا تستطيع أن تسير عليه ولا أن تطأه إلا هويت في قاعه بلا عودة.

ولكن الله رحمنا بأن هيأ لنا ما نستطيع به أن ندخل البحر ونسلكه ونحن مطمئنون، نعم فقد هيأ لنا الخشب والشجر وجعل له خاصية الطفو على سطح الماء، وترك له قوة الحمل وأن يطفو بما يحمل ... وجعل الله بقدرته لأجسادنا طاقة وقدرة وحركة نستطيع بها أن نطفو على سطح الماء أو نغوص في أعماقه لمسافة نستطيع بها أن نتحرك بما يفيدنا جسديًا كحركة وسباحة ورياضة ...

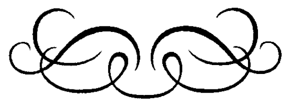
ولقد أوجد الله لنا في هذه البحار من الطيبات والرزق والخير الكثير لولا رحمته وفضله لما استطعنا أن ننال منها شيئًا.

وختام الآية الكريمة أن الله بكرمه ورحمته فضلنا على كثير من خلقه تفضيلاً، وكيف لنا أن نعرف كل ما خلقه الله لنعلم أين موقعنا مما خلقه وما دام الله قد قال ﴿كَثِيرٍ﴾ فإن موقعنا سيكون في المقدمة بإذن الله.

ألا يكفي كرم الله لنا وما أعد الله لنا في الجنة من الخير العظيم والنعمة التي لا ندرك كنهها، وماهيتها، وصدق الله حيث قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

رحمة في الأرض وكرم في السماء فما أعظمك وأكرمك يا ربي ...

وصدق رسول الله (ﷺ) بقوله: «**يقال لأهل الجنة لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا ولكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا**» [رواه الإمام مسلم في صحيحه].





البحر في سورة الكهف

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: ٦٠].

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ [الكهف: ٦١].

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٦٣].

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩].



هذه الآيات الأربع من سورة الكهف والتي ذكر الله (سبحانه وتعالى) بها البحر هي بخصوص سيدنا موسى (عليه السلام) وقف خطيبًا في الناس ثم سُئل من أعلم الناس يا موسى؟ فأجاب (عليه السلام) وقال: أنا.

فعاتبه ربه بأنك لست أعلم الناس يا موسى فاذهب إلى مجمع البحرين فإنك ترى هناك شخصًا أعلم منك.

وذهب موسى تنفيذًا لأمر ربه والتقى مع سيدنا الخضر واتفقا على أن يسير سيدنا موسى مع سيدنا الخضر برًا وبحرًا على ألا يعقب نبي الله موسى على ما يفعله سيدنا الخضر، وعليه بالصبر، وألا يسأل أي سؤال حتى النهاية وذلك حتى يدرك العلم الذي علمه الله لسيدنا الخضر وما علمه سيدنا موسى، الذي يظن نفسه أنه الأعلم بين الناس.

الآيات الأُول الثلاث تتكلم عن سفر سيدنا موسى ليلتقي بسيدنا الخضر ويوضح لنا القرآن الكريم ما لاقاه موسى في سفره من نَصَب وتعب وفتاه يوشع بن نون حتى وصلا إلى نقطة التقاء البحرين بحر الروم وبحر فارس وهي مسافة طويلة جدًا وبعد أن نسيا حوتهما وأويا إلى الصخرة وجاء غلامه بالطعام فأكلا.

التقى سيدنا موسى مع سيدنا الخضر وتعارفا يا له من إلهام إلهي، وكأن سيدنا الخضر جاءه الإلهام بلقاء سيدنا موسى (عليه السلام)، ولذا عرفه عندما رآه، وموسى عرفه أيضًا عندما رآه، فسيدنا الخضر نبي وولي من أولياء الله الذي وهبه علمًا وحكمة فهو لا يظهر نفسه للناس، وهذه هي خاصية أولياء الله.

وأما الآية الرابعة:

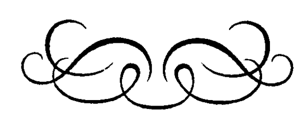
فهي جواب سيدنا الخضر لسيدنا موسى، وهو جواب توضيحي بأن السفينة التي خرقها سيدنا الخضر كانت لمساكين مؤمنين يخرجون فيها كل يوم قاصدين الرزق والعمل، وبما أن سيدنا الخضر علَّمه الله بعض علمه فقد علم أن في البحر ملكًا ظالمًا يأخذ كل سفينة غصبًا وظلمًا بدون إرادة أهلها فعمل على تشويهها وإعابتها وخلع بعض ألواحها ورماها في البحر حتى إذا جاءها هذا الملك ورآها معيبة مشوهة تركها ولم يأخذها.

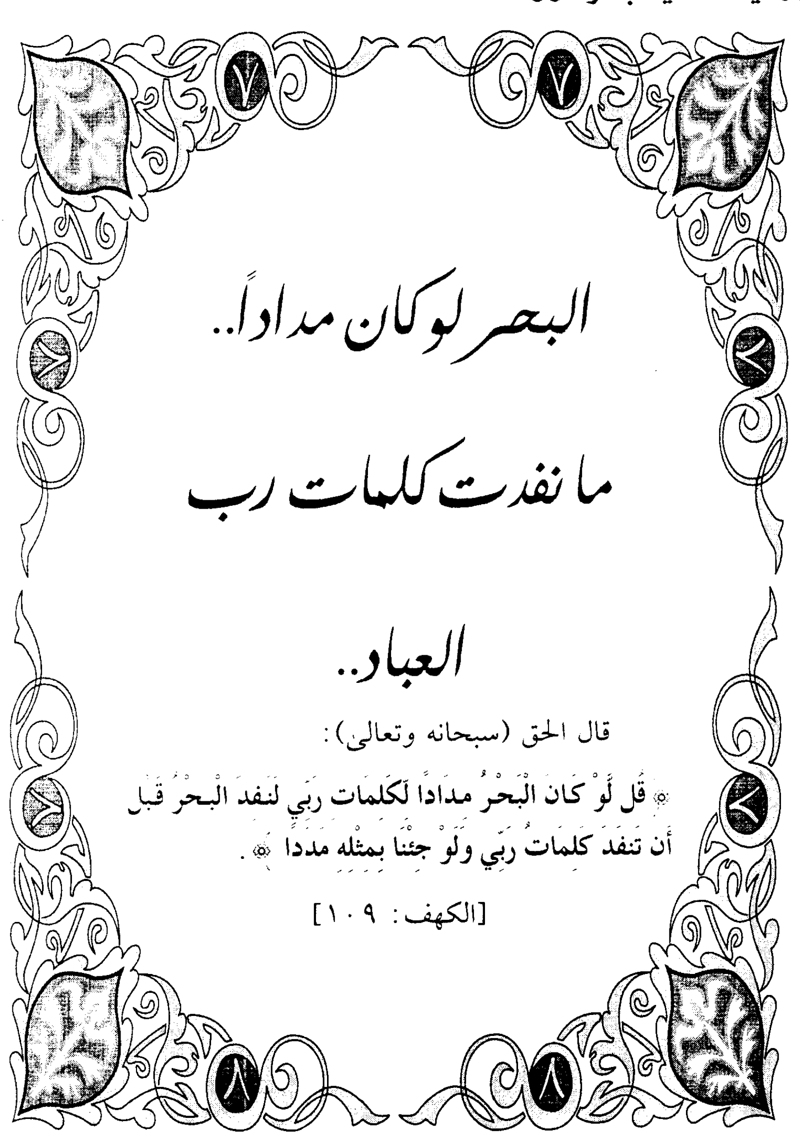
وما الحكمة من هذه الآيات الأربع.

١ ـ أن الفضل والحكمة والعلم يؤتيها الله من يشاء من خلقه وعباده سواء كان نبيًا أو إنسانًا عاديًا، فالله أعلم بعباده وخلقه وأعلم بمن يكون أهلاً بالفضل والحكمة والعلم.

٢ ـ وكما أوضح الله لموسى (عليه السلام) على أن هناك من هو أعلم منه كذلك أوضح لسيدنا سليمان (عليه السلام) الذي سخر له الإنس والجن والطير وأعطاه ما لم يعط أحدًا من خلقه أن هناك خلقًا آخرين ليسوا بأنبياء اختصهم الله بالعلم والحكمة، كالرجل الذي استطاع أن يحضر لسيدنا سليمان عرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه.

٣ ـ الله جعل البحر طريقًا لسيدنا الخضر ليرى سيدنا موسى بعض علمه وذلك لما في البحر من عجب وقدرة وعلم.





البحر لو كان مداداً.. ما نفدت كلمات رب العباد..

قال الحق (سبحانه وتعالى):

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.

[الكهف: ١٠٩]



آية كريمة تمثل القدرة الإلهية وتُقرِئنا الجواب بأن علم الله لا ينتهي، ولقد مثل الله لنا البحر في مقام هذه الآية حتى تستطيع عقولنا إدراك المعنى المراد، فالبحر وما فيه لا يمثل أمام قدرة الله (عز وجل) وعلمه شيئًا، ولكن بالنسبة لنا هو قدرة وعلم غير متناه، وليس أمامنا نحن البشر على الأرض ما هو أكبر وأعظم من البحر مثلاً إذا أردنا أن نُشَبّه أو نُعَبِّر عن شيء عظيم وكبير؛ لذا ضرب الله مثله به حتى ندرك الفكرة وتصل إلينا.

الذي يريد الله أن يوصله لنا هو الإشارة أن قدرة الله وعلمه لا طاقة لعقولنا بها فمهما حاولنا أن نتكلم عن قدرة الله وعلمه سنجد أنفسنا أخيرًا لا نصل إلى ما يستحقه من الإجلال والتعظيم.

ونحن البشر على الأرض نستعمل الحبر «المداد» إذا أردنا العلم والكتابة، لذا جعله الله لنا مثلاً مضروبًا... والرسالة أو الكتاب الذي نريد أن نؤلفه أو نكتبه نحن البشر بالمداد «الحبر» مهما بلغ حجمه فإنه لا يستهلك أكثر من قارورتين من المداد.

فماذا يكون لو كان البحر مدادًا؟ كم يكون عدد الكتب التي نستطيع أن نكتبها بهذا المداد الذي حجمه حجم البحر ... هذا لا يمكن بل هو بالنسبة لنا يدخل في المستحيل.

والكلمات التي وردت في الآية القرآنية تعني «علم الله» ومثَّل الله علمه بكلمات لأن الكلمات هي التي تعبر عن العلم، فالقراءة والكتابة والعلم مصدرها الكلمات، فعبَّر الله عن سعة علمه بلفظ «كلمات».

ففي الآية إعجاز لغوي مذهل وفيها ربط فني رائع بين الكلمات

والمعنى، وتحس أنك أمام معنى لا يصل إلى العقول إلا بهذا التشبيه، فكلمات الآية متصلة اتصالاً هندسيًا متين البيان.

فالله (سبحانه وتعالى) في هذه الآية ترك الإنسان يعيش في ذهول من قدرة الله وسعة علمه ويشعر أنه ضعيف جدًا أمام الخالق الذي لا ينتهي كونه ولا ينتهي علمه، وما التحصيل العلمي واللغوي الذي يصل إليه الإنسان إلا تحصيل دنيوي من أجل الحياة لا أكثر وبأمر الله وقدرته، لقوله (تعالى):

﴿ **وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والآية الكريمة واضحة وصريحة وكأنها تقول: أيها البشر لو أنكم اجتمعتم جميعًا وكنتم على قلب رجل واحد ووضعتم أقلامكم كلها على بساط البحث والكتاب وكان وراءكم مدادًا للكتابة لا ينتهي فإنكم لن تصلوا إلى قدرة وعلم الله وإليك دليل على ما أقول.

إننا على أبواب القرن الواحد والعشرين وهناك منطقة ذات مساحة هائلة في السماء لونها أسود لا أثر فيها لكوكب أو نجم يضيء، ظن علماء الفلك أنها منطقة في الكون الفسيح خالية تمامًا من أي نجوم ومجرات وأقروا هذا واستراحوا.

ولكن لما صنعت أمريكا منذ عامين «التلسكوب الفضائي» الضخم وأسمته «هابل» ثم أطلقته على مركبة فضائية في السماء فإذا به يرسل لهم صورًا توضح لهم أن هذه المنطقة الهائلة الاتساع في السماء والتي ظنوا أنها خالية تمامًا من أية كواكب ونجوم ومجرات ... فيها من المجرات الكونية التي لا يعلم عددها إلا الله ... وأقربها للأرض تبعد عنها ٧٠٠ سبعمائة مليون سنة ضوئية، وأما أبعدها ففي علم الله ... فأين نحن من كلمات الله وعلمه

وقدرته؟ وكلما اكتشفت البشرية شيئًا وجدت بعد فترة من الزمن شيئًا جديدا آخر وهكذا ... حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وهذه الآية ليست تحطيمًا لعقول البشر وتحديدًا لمسيرتهم في العلوم والابتكار، فنحن أيضًا خلفاء في أرضه بما وهبنا الله من عقل وحكمة، ولقد فضلنا الله على كثير من خلقه تفضيلاً، قال (تعالى): ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ولكن هذا بيان عظيم من الله لإيضاح قوته وقدرته وعلمه وعظيم ملكه الذي لا تدركه عقولنا التي لها طاقة محدودة مرسومة ضمن آلية رسمها الله لنا لا نحيد عنها أبدًا.

فليست قدرة الله هي التي وصلنا أو عرفناها بعلومنا واكتشافاتنا وظن بعض الناس أنه وصل إلى قدرات يستطيع بها أن يتحكم في الأرض أو في السماء وكيف ذلك، ومنذ عامين قال العلماء إنهم وجدوا مجرات لا يمكن حصرها أو عدها أقربها إلينا يبعد سبعمائة مليون سنة ضوئية وسيطالعنا عالم آخر بعد مائة عام ويقول إنهم - أي العلماء - وجدوا أن هذه المجرات كلها لا تشكل أمام هيكل مجرة واحدة مكتشفة شيئًا فإنها تتسع للجميع وهكذا...

كأني أسمع وأرى هذا الخبر بعد مائة عام.

فإذا كانت الجنة التي عرضها كعرض السموات والأرض لا تشكل من علم الله وقدرته شيئًا فأين نحن من قدرة الله وعلمه.

إن هذه الأرض التي نعيش عليها هي واحدة من مليارات المليارات من

الكواكب والنجوم التي تسبح في الفضاء... فهل تستطيع البشرية وبكل ما تملك وحتى بعد آلاف الأعوام أن تشكل وتبني كوكبًا واحدًا مثل الأرض وتجعله يسبح ضمن جاذبية السماء؟ ... فإن كنا لا نستطيع ولن نستطيع...

فلسنا بشيء أمام كلمات الله وقدرته.





البحر طريق..

لعباد الله.. (عز وجل)

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٧٧]

القارئ للقرآن الكريم يلحظ وهو على يقين أن الله (سبحانه) أولى بني إسرائيل رحمة واسعة منه فأحاطهم برعايته ورحمته على فترة طويلة من الزمن وصبر عليهم وأعانهم في كل أمورهم صغيرها وكبيرها.

وأكبر عون لهم من الله أن خلصهم من آل فرعون يسومونهم سوء العذاب يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويستعملونهم على حرثهم وزرضهم وفي بناء بيوتهم وقبورهم، وخدمًا في قصورهم يسومونهم العذاب ويسقونهم المر والمهانة ومع كل هذا فالله هو أرحم الراحمين لم ينزل صاعقة تأخذ فرعون وأهله انتقامًا لبني إسرائيل عباده الذين أراد أن يخلصهم من العذاب والذل ولكن الله الذي لا يرضى الظلم لأحد أرسل موسى وأخاه هارون عسى أن يهديا فرعون وأهله علَّهم يعودون إلى طريق الحق والصواب ويؤمنون بالله الواحد الأحد ويدعون شرهم وفسقهم ويتوبون إلى الله متابًا، ولكن لَّما كان فرعون معاندًا ومصرًا على كفره أمر الله موسى أن يسري بعباده من بني إسرائيل إلى البحر ليخلصهم من فرعون وجنوده الذين ما فتئوا يسومونهم العذاب وأصناف القتل.

والآية تقول وبعد أن تصل يا موسى وقومك إلى شاطئ البحر اضرب بعصاك البحر فإنه سيفلق بقدرتي وإرادتي إلى فرقين كل فرق كالطود العظيم وسترى أمامك طريقًا سالكًا في داخل البحر فلا تخف يا موسى ولا يخف قومك ـ فهذا أمر جلل ويخرق المألوف والقانون والطبيعة ـ ولكنها يا موسى إرادتي فأنا الله الذي أقول للشيء كن فيكون فاطمئن يا موسى ولا تخاف إني معكم ولا تخافوا فرعون وجنوده ولا تخشوا دخول البحر واسلكوا فيه طريقًا بأمري فإني سأخفف عنكم هول البحر وخشيته وسأكفيكم فرعون وجنوده ...

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [الحج: ٦٥].

كل آيات الله تشترك مع بعضها وتبين جلال العظمة وورنق الكلام وسلاسة التعبير فتجعل الذي في قلبه ذرة من الإيمان يخرُّ ساجدًا أمام جلال الله (سبحانه): ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ ﴾ هذا صحيح.

فالإنسان هو المخلوق الوحيد على الأرض الذي يعمل لإرضاء الله، وكل ما خلق الله في الأرض يعمل لمصلحة ابن آدم، وإن كنا لا نزال لا ندرك ما فائدة الناموسة والذبابة بالنسبة إلينا فقد تكون سببًا في القضاء على نوع من البكتريا والجراثيم، لو زاد عن حده لفتك بالمخلوقات، وأما عن سبب وجود البكتريا في الأصل فربما لها عمل يفيدنا لا ندركه، فما خلق الله شيئًا عبثًا فكل بقدر، وكل ما خلق موزون ومحسوب بقدر دقيق جدًا، والجن أيضًا فيها من يعمل لإرضاء الله (سبحانه وتعالى).

وصدق الله حيث قال: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

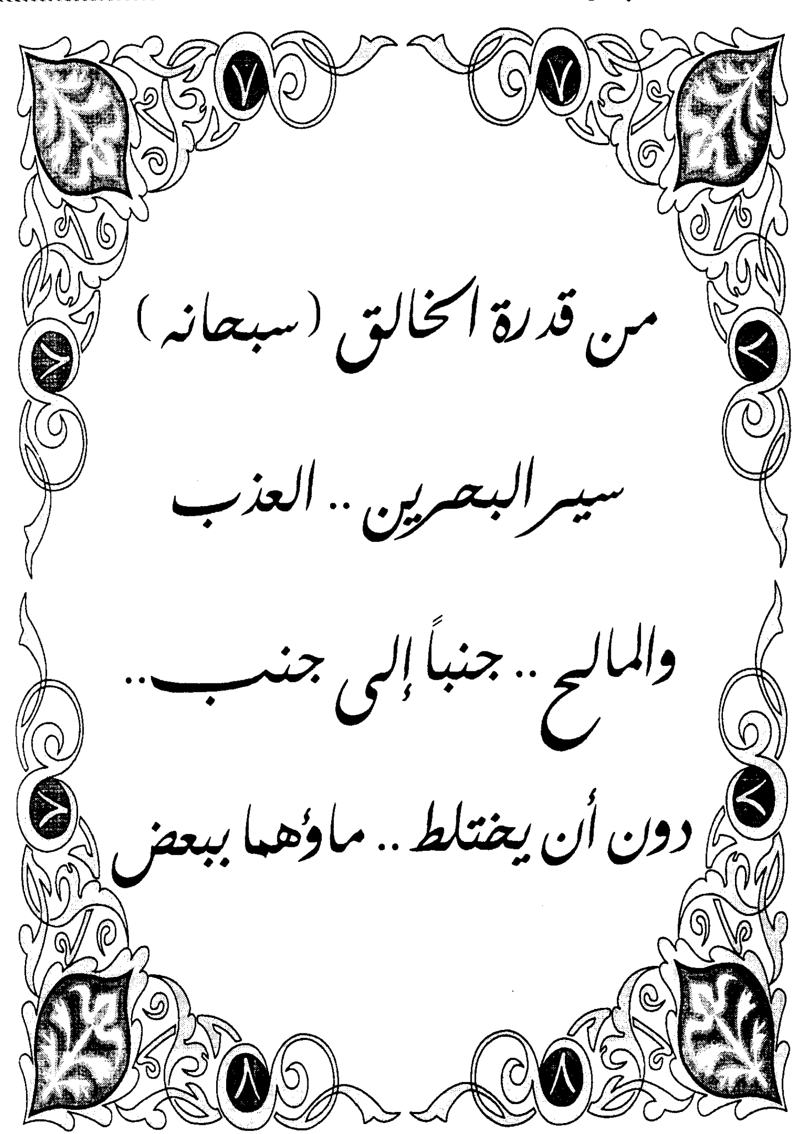
وهذه آية لو ندرك معناها حقيقة لبقينا ساجدين لله شكرًا. ﴿ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾ وهذه رحمة من الله للبشر، فلولا أن علمنا الله (سبحانه وتعالى) كيف نصنع الفلك وخلق وجهز لنا الخشب الذي جعل له خاصية الطفو على سطح الماء لما استطعنا أن نستفيد من البحر وما يحويه من غذاء وكساء ومعادن، فرحمة الله كبيرة أن جعل في البحر غذاء لنا وهيأ لنا أن نصنع الفلك التي تجري فيه بأمره.

﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾.

وهذا إعجاز خَلْقي كبير جدًا فالذي يعرف في علم الفلك، يعلم حتى

العلم أن السماء وما فيها من كواكب ونجوم ومجرات لا يعلم عددها حقيقة إلا الله وأما نحن فنقدر تقديرًا معظمه خطأ، فالسماء وما فيها محكومة بقانون إلهي نراه في قول الحق (تبارك وتعالى) ﴿ **وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ [الزمر: ٦٧]. وليس معنى قوله (سبحانه): ﴿ **وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ** ﴾ أن تقع السماء على الأرض بما فيها من مليارات النجوم والكواكب بل المقصود أنه يرسل بعضًا من السماء كأن يفلت نجم من قانونه المحكوم ويُرسل على الأرض فتضيع الأرض ومن عليها، وما الأرض بالنسبة للكون إلا حبة رمل في صحراء شاسعة وهنا تعبير من الله بالكل يعني الجزء فالأرض لا تحمل السماء لعظمتها وسعتها.




من قدرة الخالق (سبحانه)
سير البحرين .. العذب
والمالح .. جنباً إلى جنب ..
دون أن يختلط .. ماؤهما ببعض

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣].

قال (تعالى): ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣].

إن هذه الآية الكريمة من سورة الفرقان وما فيها من إعجاز علمي عظيم يفوق تصورات عقولنا وتنحني أمام جلالة العلم والحدث قدراتنا وتجعل عقولنا تسجد قبل أجسادنا، وتجعل قلوبنا تهتز تحت أثيرها وعيوننا تفيض بالدمع خشية ورهبة ونحن نقف أمام آيات الله المعجزات التي لم ينكر عظمتها حتى الجاحدون وإنما ابتعدوا عنها وتناسوها خوف الوقوع في تأثيرها الرائع وسحرها الجذاب وإيقاعاتها الخلابة، إن كلمات الله في كتابه جعلت قلوبنا تئن من الشوق والحب لقائلها، ولم يعد الجسد - وبما يملك من إحساسات جياشة مرهفة - يتحمل، فوقع في سجود المطمئن المحب والمطيع العابد، وهذه الآية من الإشارات العلمية الكثيرة التي أشار إليها القرآن الكريم وجعلت آلاف الباحثين والعلماء والمفسرين يتيهون فيها وبإعجازها فأسرت عقولهم وأتعبت أجسادهم وجعلت قلوبهم ندية خاشعة أمام كلام نزل من السماء يخاطبهم ويقرع أسماعهم فجعلت الذي يخشى الله يخر لذقنه طاعة وخشية من الله، وتركت الذي في قلبه مرض يفر ويختفي ويحجب أذنه عن السماع وكأن فيها وقرًا؛ حتى لا يصبح أسيرًا أمام قدرة وعلمٍ وعظمةٍ لم يعهدها من قبل.

وتحس في نفسك وأنت تقرأ القرآن أن كل آية من آياته علم قائم وموضوع منفصل وقضية عظمى وتشريع سماوي منزه وقانون أبدي ورغبة

إلـهية ومعجزة خالدة، وآيتنا هـذه من سورة الفرقان تحس أنها منفصلة عما قبلها وما بعدها وتشكل بمفردها علمًا وموضوعًا وقانونًا ومعجزة ...وهكذا القرآن كل آية فيه تشكل بحرًا زاخرًا بكنوزه وعجائبه ومعجزاته كلما أخذت منه ازدادت كنوزه ونفائسه ومعادنه الثمينة وكل آية من آياته تعيش معها وكأنك في حضرة الله بمفردك تناجيه فيسمعك وتذكره فيذكرك وتدعوه فيجيبك.

إنها آية من آيات الله وهي معجزة من معجزات صنعته وخلقه وهي قدرة وعلم من علمه آية من مئات الآيات القرآنية المعجزات التي أيد الله فيها نبيه محمدًا (ﷺ) هـذا النبي الأمي الذي أعطاه بعض علمه وأيده تأييدًا كاملاً.

هـذه الآية العظيمة مختلفة تمامًا عن آية الله في سورة الرحمن كما قال (تعالى): ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾ [الرحمن: ١٩ ـ ٢٢].

أما آيتنا في هـذا الموضوع من سورة الفرقان:

قال (تعالى):

﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا** ﴾ [الفرقان: ٥٣].

فما وجه الاختلاف بين الآيتين من سورتي الرحمن والفرقان:

١ ـ الآية الأولى التي في سورة الرحمن قصد الله (تعالى) بها البحرين المالحين.

٢ - الثانية من سورة الفرقان قصد الله بها البحرين المالح والعذب.

٣ - الأولى من سورة الرحمن: أكد الله بعدها بقوله ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ والمعلوم أن المرجان واللؤلؤ لا يكونان إلا في البحر المالح.

٤ - نقطة الالتقاء بين البحرين في سورة الرحمن نقطة التقاء بين بحرين مالحين فجعل الله بينهما نوعًا ثالثا من المياه تختلف في خواصها عن البحرين.

٥ - نقطة الالتقاء بين البحرين في سورة الفرقان هي نقطة لقاء بين بحر عذب وبحر مالح.

٦ - بين البحرين المالحين يوجد برزخ (حاجز) بقدرة الله من نوع ثالث من المياه.

٧ - بين البحرين العذب والأجاج يوجد برزخ وزاده الله بالحجر المحجور.. فيما مضى كان علمائنا يسألون بعض الرحالة عن البحر المسجور من سورة الطور ولكنهم لم يسألوا عن هذه الآية أيًا من الرحالة أو غيرهم لأن هذه لا ترى بالنظر العادي أو السطحي، وكأنهم كانوا يعلمون أن علم الله في هذه الآية يفوق أي تصور، وأكثر ما استطاعوا إليه سبيلاً في تقديم علومهم في شرح هذه الآية العظيمة أنهم شرحوها لغة جملة وتفصيلاً وأني لهم شرحًا أكثر من هذا، فإذا كان القرن العشرون أذن على النهاية ولم يستطيعوا الوصول إلى شيء إلا قبل نهايته بقليل على الرغم من كل هذه الآلات الجبارة والأدوات العظيمة، فكيف لعلمائنا البررة السابقين أن يعرفوا شيئًا عن هذا، ومع ذلك اعتبروها من آيات الله العلمية العظيمة. وكانوا

يأملون التعـرف على حقيـقة قدرة الله فيـها وحين أراد الله (سبـحانه) ومن خلال وعده الذي وعد عباده بقوله:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

هيأ للبشرية ما يساعدهم على هذا الاكتشاف فجهز لهم ما يستطيعون الاستـفادة منه باختـراع آلات وأدوات جـديدة في مـعـرفـة علوم الكون والأرض، فخزين النفط الهائل الذي أنار الحضـارة فألهمهم باختراع الطائرة والسفينة والغواصة وجهاز التصوير والكاميرات والفيديو والسفن والطائرة كي تكون آلات مـساعـدة مع عقل الإنسـان في سـبر أغـوار الفضـاء والبحـار واكتشاف كل ما هو مجهول وضمن مشيئة الله التي حددها لعباده ...

لقوله (تعالى): ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ولا بد لي قبل أن أدخل في إعجاز الآية الكريمة أن أقدم شرحًا مفصلاً لمعانـي مفردات وكلمـات الآية الكريمة ثم أدخل في بيـان إعجازهـا وفق ما اكتشفوه بعلم البحار وبيان ما البرزخ وما الحجر المحجور.

﴿ وَهُوَ ﴾: أي الله.

﴿ الَّذِي ﴾: اسم موصول والمراد به (الله).

﴿ مَرَجَ ﴾: ذهاب للمياه ورجوع واضطراب وقال ابن عـباس (أرسل وخلّى)

﴿ الْبَحْرَيْنِ ﴾: إشارة إلى البحر المالح والبحر العذب.

﴿هذا﴾: إشارة إلى البحر الأول العذب.

﴿عذبٌ﴾: أي ماؤه صالح للشرب.

﴿فُرَاتٌ﴾: زائد في العذوبة والطعم السائغ.

﴿وهذا﴾: إشارة إلى البحر المالح.

﴿ملحٌ﴾: أي مياهه مالحة.

﴿أُجاجٌ﴾: زائد في الملوحة لدرجة عدم استطاعة تذوقها.

﴿وجعل﴾: خلق ووضع.

﴿بينهما﴾: أي ما بين البحر العذب والبحر المالح.

﴿برزخًا﴾: حاجزًا من قدرته وعلمه.

﴿وحجرًا﴾: مكانًا.

﴿محجورًا﴾: مستورًا أي مكانًا مستورًا عن أي اختلاط.

وقد بينا فيما سبق معنى كلمة البرزخ وقلنا إن معناها اللغوي حاجز وفاصل من قدرة الله ومن علمه.

وأن هذا البرزخ مخلوق وموجود بأمر الله (سبحانه وتعالى) ليس في زمن نزول القرآن منذ ١٤١٥ سنة، وإنما خلق الله الأرض أو منذ أن استقرت الأرض على حالتها التي هي عليها الآن، إذًا كل ما يقوله العلماء لا يزال تقديرًا فقط... فالبرزخ هو حاجز مائي من نوع ثالث يختلف في خواصه عن البحر المالح ويختلف في خواصه عن البحر العذب، وقد تمت دراسته عن طريق علماء البحار خلال فترة طويلة من الزمن ولم يتوصلوا إلى وجود

حاجز مـائي من نوع ثالث بين البحر العذب أي النهـر وبين البحر المالح إلا بعد جـهود مضنية ودراسـات كثيرة جـدًا، وكثيـر من علماء البحار قـدموا دراسات مـائيـة عن هـذا الموضـوع ... لأنه موضـوع مهم بالنسـبة لعلـماء البحار.

فالدراسة نقطة التقاء البحر العذب أي الـنهر بالبحر المالح أهمية كبرى تختلف تمامًا عن دراسة نقطة التقاء البحرين المالحين في قوله (تعالى):

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ١٩ ـ ٢٢].

لأن دراسة التـقاء الماء المالح بالماء العـذب كانت صعـبة للغاية ـ فـقد كانت دراستهم تدور حول نقطة مهمة وهي:

هل يتأثر البـحر المالح بالبحـر العذب أو العكس؟ وما مـدى تأثر المياه العذبة لمجرد اختلاطها بالمياه المالحة والعكس.

والسؤال الأكثر أهمية الذي ورد للعلماء بـبداية بحثهم كيف بقي البحر العذب «النهر» ماء عذبًا خـلال ملايين السنين ولم يتأثر بالمياه المالحة رغم أنه لا بد من لقاء بينهما عند المصب؟!

والحقـيقة أن أعظم الدراسـات المائية التي تمت كـانت دراسة مصـبات الأنهار، والمعروف أن البحـار المالحة أعظم وأكبر حجمًـا بكثير من الأنهار، لذا كان تقرير العلماء المبدئي أن مياه البحار المالحة يجب أن تبتلع مياه الأنهار العذبة لصغرها وحقارتها أمام عظمة مياه البحار والمحيطات.

سؤال محيـر ومسألة أدهشت علماء البحار في بداية دراسـتهم العلمية لمصبـات الأنهار. هـذه الدراسة أجـريت كثـيرًا قبل التـوصل إلى الأدوات

الراقية التي تساعدها في البحث. وقبل اختـراع الكاميرات التصويرية الدقيقة وقبل اخـتراع الفيـديو وقبل اختـراع الغواصات المائيـة وقبل ظهور الأقـمار الصناعية التي خُصصت لدراسة الأرض بحرها وأرضها وجبالها، لقد كانت الدراسات كثـيرة ومضنية وطويـلة ومجهدة؛ لأن السؤال الـذي كان يفرض نفسـه على العلماء لماذا لا تختلط مـياه البحر المالح بالعـذب وهي الأقوى؟ وتصبح ميـاه الأنهار مالحة أو تميل إلى درجة الملوحـة، لأنه حسب المعطيات العلمـية والقـوانين المائية يجب أن يخـتلطا... والأقوى يؤثر في الأضـعف والكبير يجب أن يبتلع الصغيـر. أي أن مياه البحار العذبة «الأنهار» لا يمكن أن تؤثر في مياه البحار المالحة لأنه الأصغر ولكن التأثير ... يكون من الأكبر في الأصغر وعليه حسب القانون الفيزيائي والجيولوجي يجب أن تصبح مياه الأنهار مـالحة على مدى مـلايين الأعوام، ولكن لا نزال نشرب منهـا عذبًا وعذبًا فـراتًا أيضًا. (راجع المحاضرات العـلمية في «إعجـاز القرآن الكريم» جامعة الملك فيصل).

لا إلـه إلا الله الخالق القادر العليم الخبير بيده الأمر من قبل ومن بعد فالله وحده الذي يعلم لماذا بقيت مياه الأنهار عذبة خلال ملايين السنين...

والله وحده يعلم متى ستكتشف البـشرية هـذا السر الإلـهي الذي بقي مختـفيًا عن البشرية حـتى عصرنا الحاضر ... فـالإنسان بما لديه من قدرات عقلية جعله الله مكتشفًا ... ولكن لم يجعله خالقًا ... الإنسان مخترع للآلة التي تعينه على الاكتشـاف والاطلاع، ولكن الإنسان ليس بخالق هـذه المادة التي تعينه على تصميم وصناعة الآلة...

والله قد أشـار في كتابه إلى دقـائق الأمور ودقة الـصنع وروعة الخلق

وتكلم في آياته عن قدرات تفوق قدرة البشر لو اجتمعت كلها، ولقد صدق الله في كتابه إذ قال:

﴿ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣].

وذلك لأنه الله الذي يعلم السر وأخفى، فهو الذي خلق السموات والأرض ويعلم ما فيهما وما بينهما وما يلج فيهما وما يخرج منهما.

فإذا كانت الذَّرة الواحدة والتي لا ترى بالعين المجردة وأجزاؤها في علم الله وقدرته فأين نحن من هذه القدرة.

وصدق الله حيث قال:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

أي بما في القرآن من علوم وحقائق وتشريع وفقه ولغة وأدب.

وأعود إلى الآية الكريمة..

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣].

ويجب أن أوضح نقطة مهمة جدًا ففي الآية التي تكلم الله فيها عن البحرين المالحين في سورة الرحمن: ذكر الله كلمة «يلتقيان».

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠].

نلاحظ أن في التقاء العذب الفرات بالمالح الأجاج لم يقل الله يلتقيان

وفي التقاء البحرين المالحين قال مرج البحرين «يلتقيان» فلا ينبغي أن يتوهم أحد أن الله وضع «يلتقيان» في ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ولم يضعها بـ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ لمجرد ناحية لغوية أو جمالية. إنما لم يقل يلتقيان في ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ لأن الله وضع بين البحرين المالح والعذب حاجزين: الأول حاجز من نوع ثالث من المياه، والثاني الحجر المحجور وهو مصب الأنهار، فإذن هما لا يلتقيان لأن كلمة اللقاء لغة القرب الشديد.

أقول التقيت وفلان أي أصبح ما بيني وبينه مسافة قريبة جدًا، وهذا ينطبق على البحرين المالحين لأن الحاجز واحد، يا سبحان الله خلق فأبدع وقال في كتابه العزيز:

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وهذا الحاجز موجود بعد المصب، يحجز مياه الأنهار أن تدخل بالمياه المالحة والعكس، وهذا هو السر الإلهي، والقدرة الإلهية العظيمة أنه جعل بين المائين المالح والعذب حاجزًا، ولولا هذا الحاجز لأصبحت مياه الأنهار مع مرور ملايين السنين مالحة واستحالت الحياة على وجه الأرض، وربما مرت مئات الأعوام وآلافها والبشرية على الأرض لم يخطر ببالها حتى مجرد السؤال كيف استمرت مياه الأنهار عذبة رغم اختلاط جميع أنهار الأرض في مجراها الأخير بمياه البحار؟ ويرى العلماء في موضوع الحاجز أن الحاجز هو نوع ثالث من المياه لا هو بالمالح ولا هو بالعذب، وعنده يتم تحويل المياه العذبة الداخلة إلى البحر إلى مياه مالحة عن طريق تحويلة الحاجز، وأن الماء

العـذب عندما يصل إلى الحـاجز يتـحول من العـذوبة إلى الماء الذي لا هو بالمالح ولا هو بالعذب والعكس أيضًـا صحيح. هـذه نظرية علمـية أجريت عليها تجارب من قبل العلماء ووافق عليها الكثير، ولكن بعض العلماء يرون غير هـذا حـيث قالوا: إن مياه النهر عندما تصل إلى نقطـة اللقاء مع البحر تصطدم بحاجز أفقي ورأسي، ومياه البـحر أيضًا حين تصل إلى نقطة لقائها مع النهـر فإنهـا تصطدم بحـاجز قـوي رأسي وأفقي يمنعـها من الاحـتكاك والتداخل مع المياه العذبة، ولاحظ بعض العلمـاء أن ماء النهر بعد أن يصل إلى مصبه ويصطدم بالحاجز الذي هو بعد المصب ... ينحني ويعود ثانية إلى مجراه في النهـر كما لاحظوا أن ميـاه البحر عندما تصل إلى منطقـة الحاجز تنحني وتعود ثانية إلى البحر.

وقد سُئل بعض علماء البحـار القائلين بهذه النظرية. لماذا تعود الأنهار ثانية إلى مجراها ولا تختلط بمياه البحر؟ فأجاب قائلاً عشر سنوات ولا أجد جوابًا علـى هـذا السؤال، فـعقب عليـه أحد علمـاء المسلمين ذلك لأن الله سبحانه و (تعالى) قال منذ ١٤١٥ عامًا: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا** ﴾ [الفرقان: ٥٣].

(أجرى هـذه المحاورة الدكـتور عبـد المجيـد الزنداني مع علماء بيـئة وجيولوجيا ألمان وأمريكان).

ويفهم من جوابه أنه عجـز عن فهم حقيقة عدم استطاعـة مياه الأنهار الدخول في مياه البحار لأنه لم يلمس ما يمـنع اختلاطهما، هـذه نظرية قال بهـا بعض العلمـاء لأنهم وجدوا بعـض تيارات الميـاه تنحني وتعـود ولكن النظرية السائدة أن ميـاه الأنهار بعد أن تصل إلى مصبهـا تحاول الدخول في

مياه البحار ولكنها تصدم بمياه الحاجز الذي هو نوع ثالث من المياه ... وعنده يتم تحويل المياه العذبة إلى نفس نوعية مياه الحاجز.

فليس الخلاف على وجود الحاجز، فهذا أمر أقره جميع العلماء ولكن الخلاف أن بعض العلماء - كما قلت - وجدوا أن تيارات المياه العذبة تنحني وتعود ثانية إلى مجراها بعد أن تصطدم بالحاجز الذي يمنعها من الاختلاط مع المياه المالحة التي تنحني وتعود.

هذا عن الحاجز، وماذا الآن عن الحجر المحجور؟ ولماذا لم يكتف الله بالحاجز فقط ما مهمة الحجر المحجور؟.

وأول ما نقول: إن الله (سبحانه) وهو الخالق العليم ما خلق شيئًا باطلاً وما خلق شيئًا ليس له ضرورة ولزوم، فكل شيء خلقه بقدر.

فإذا قلنا إن الحاجز - الذي هو البرزخ بين البحرين العذب الفرات والمالح الأجاج ضروري حتى لا تختلط المياه العذبة بالمالحة وتستحيل الحياة على الأرض، ولكن ما فائدة وجود حاجز بين بحرين مالحين في قوله من سورة الرحمن.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠] وهما بحران مالحان. فإن الإجابة عن هذا التساؤل أن الله ما خلق شيئًا في الدنيا كلها سماءها وأرضها وبحارها ليس مفيدًا، بل له مجال علمي من قدرته، وقد وصلنا إلى بعضها ونصل الآن بما هيأ الله لنا بإرادته إلى بعضها الآخر، ولكن هناك أشياء إلى أن تقوم الساعة ولن نصل إلى جواب لها لأن الله (سبحانه) قال:

﴿ وما أُوتيتُم مِنَ الْعِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥].

فالروح في الجسد لا نراها ولا نحس بها ولا نعلم عنها شيئًا ولكن الذي نعلمه أنه لا حياة بدون روح.

وهذا ينطبق على الحاجز الذي وضعه بين البحرين المالحين، وربما لا نعلم سر وجوده مطلقًا وقد نصل إلى سر وجوده كاملاً في يوم من الأيام إذا أراد الله (سبحانه)، ولكن ما يخاطبنا به العلم الآن عن سر وجود الحاجز بين البحرين المالحين أن البحار قسمت أوطانًا وشعوبًا كما قسمت اليابسة أوطانًا وشعوبًا، وفي النهاية فإن أوطان وشعوب اليابسة تؤلف مجتمعًا إنسانيًا واحدًا ... وهكذا البحار في النهاية تؤلف بحرًا عامًا هائلاً قد احتوى على أجزاء لكل جزء منه أسراره الخاصة وطريقته في الحياة، وربما هذا لزيادة التنوع في كل شيء في الحيوانات المائية وفي الأعشاب وفي درجة الحرارة والملوحة والكثافة والمعادن والأحجار الكريمة فجعل الله في كل بحر أسرارًا وحياة فنوع بقدرته الأنواع، وكلنا يعلم أن كثيرًا من الحيوانات موجودة في بحر وغير موجودة في بحر آخر، واللؤلؤ والمرجان والأعشاب والأسماك موجودة في بحر وغير موجودة في بحر آخر.

تنوع رباني حافظ الله عليه بوجود الحواجز بين البحار ... تمامًا كما ينطبق على البشر ينطبق على عامة المخلوقات لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وأعود إلى الحجر وهو مكان تنزل به مياه الأنهار فحجرها الله عن البحر وجعلها شيئًا منفصلاً تمامًا عن البحر أي مكانًا معزولاً تمامًا عن مجرى

الأنهار يتسع ويضيق حسب قوة واندفاع مياه النهر، وسمي علميًا بمصب النهر أو مصبات الأنهار.

والمحجور: أي محجور على حياة أسماك خاصة لا تعيش في مياه البحار ولا تعيش في مياه الأنهار فهي محجورة في منطقة مصب الأنهار.

هذا الحجر المحجور أو منطقة (مصب الأنهار) هي المنطقة الفاصلة أيضًا بين نهاية مجرى النهر والحاجز الذي وضعه الله خلف الحجر المحجور الذي يفصل بين مياه النهر والبحر.

وقد استعملت كلمة الحجر استعمالاً ماديًا لكثير من الأشياء وسمي مكان عزل بعض المرضى المصابين بمرض خطير «الحجر الصحي» أي العزل الصحي ... ولذا فإن كلمة الحجر تعني «العزل» أو المنطقة المعزولة.

وأقول: حجرته في منطقة كذا، أي عزلته في منطقة كذا...

إذًا: ﴿ **وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا** ﴾.

البرزخ: هو الحاجز.

الحجر: هو مكان مصبات الأنهار.

المحجور: أي المكان المعزول والمخصوص على حياة أنواع سمكية وحيوانية خاصة بمنطقة مصبات الأنهار.

يا سبحان الله!!

هذا علم موجود منذ ملايين السنين، وموجود قبل أن يُخلق أبونا آدم (عليه السلام) وقبل أن يُخلق سيدنا محمد (ﷺ) وهذا بعلم الله.

وهنا سؤالان ضروريان ... يجب على كل ملحد أن يسألهما لنفسه:

١ ـ أنه بالرغم من كل هذا العلم الجبار وكل هذه الأدوات المعينة في البحث لا يزال هناك خلاف بين بعض العلماء ليس عن الحاجز والحجر، فهذا أمرٌ فرغ العلماء منه وأقروه إقرارًا كاملاً لا شك فيه ولا لبس، ولكن الخلاف قائم بأن تيارات الماء العذب تعود ثانية إلى الأنهار لوجود الحاجز والحجر، وأن الماء يحول عند الحاجز إلى نفس نوعية مياه الحاجز يحول بعدها إلى مياه مالحة وكيف عرف بوجود الحاجز والحجر المحجور سيدنا محمد (ﷺ) وهو الرجل الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، فإذا كان العلماء بعلمهم وأدواتهم استغرقوا ردحًا من الزمن حتى اكتشفوا هذا الأمر فهل يعقل أو يصدق أحد أن أميًا يخبرك عن أعقد المشاكل العلمية ويحددها بزمن لا علم ولا أدوات ولا معرفة ولم يسبقه أحد من العالمين إليه، فالعقل يخاطبنا خطابًا أمينًا أن هذا من عند العليم الخبير الخالق الذي يعلم سرائر الأمور كلها منذ أن خلقها الله (سبحانه).

٢ ـ هل جاء سيدنا محمد (ﷺ) منطقة الحجر المحجور «منطقة مصبات الأنهار» وأجرى دراسات على أنواع الحيوانات المائية ووجد أن حياة الأسماك عند منطقة الحجر المحجور «مصبات الأنهار» تختلف عن الأسماك التي تعيش في النهر وعن الأسماك التي تعيش في البحر؟!

وهل كان يملك مختبرًا علميًا لمعرفة أنواع الأسماك ويحدد ويعرف الأنواع التي تعيش في الحجر المحجور.

والحقيقة أن علماء البحار ومعظمهم فرنسيون وألمان وأمريكان أولوا أهمية كبرى لدراسة هاتين النقطتين المهمتين في عالم البحار اللتين ذكرهما القرآن الكريم، وهم بدراستهم لا يقصدون ولا يعملون من أجل القرآن

الكريم ولا يعلمون شيئًا عن القـرآن الكريم وليس لهم علاقة به، إنما جاءت دراسة هاتين النقطتين لما لهـما من أهميـة بالنسبة لحيـاتهم ومعيشـتهم، ولما تقدمـه هـذه الدراسات من فـائدة عظيمة لبلادهم وحـتى يضيفـوا لعلومهم نظريات حديثة تستفيد منها أجيالهم وشعوبهم.

(ومن أهم العلماء الـعالم الكبيـر «دودلي فوستـر» الذي أولى دراسة التقاء البحر بالنهر أهمية كبرى بالإضافة لدراسته للشقوق والأخاديد في قاع المحيطات والبحار).

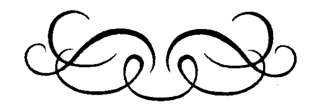
ولكن نحن المسلمين الذين طال انتظارنا لنعرف حقـيقة الآيات العلمية التي ذكرها الله (سبحانه) في القرآن الكريم تابعنا مـعهم ما بحثوا وما درسوا لأننا نحن المؤمنين نعلم ومن خـلال الآية القرآنـية ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾ [فصلت: ٥٣].

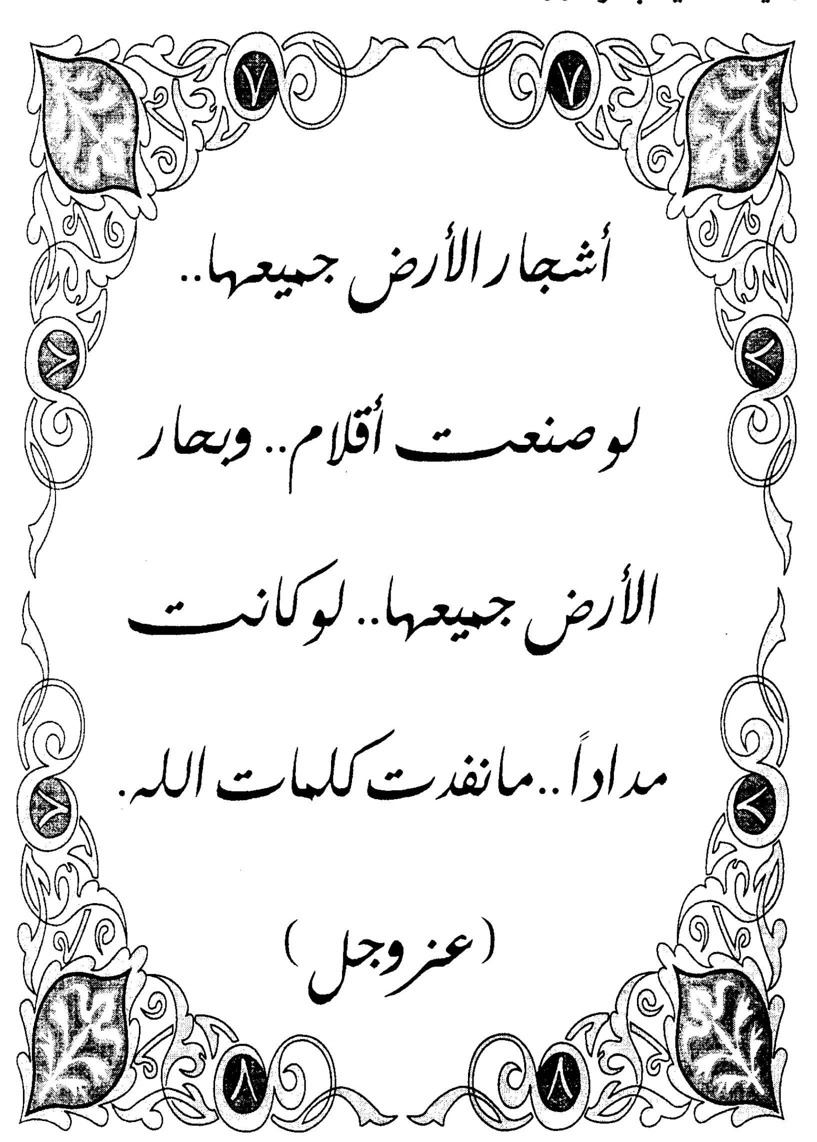
إن المكتشف لآيات الله هم الذين لا يؤمنون به وهي مـقصودة من الله كي تكون عليـهم حجـة بالغة أمـام الله، فلقد أراهم من آيـاته ومعـجزات خلقـه، ومع ذلك ظلوا أو ظل أكـثرهـم على شركـهم وعـدم إيمانهم بالله الواحد الأحد، وأمـا نحن فإننا مؤمنون اكتـشفنا أم لم نكتشف فـما قولك بعشرات الأجـيال الذين من قبلنا هل خلعـوا عنهم ثوب الإيمان بالله الواحد الصمد؛ لأن تلك الآيات لم يكونوا يعرفون عنها شيئًا ولم يكتشفوا إعجازها كما اكتشفنا نحن جيل القرن العشرين.

فالحـجج والبراهين وضعـها الله للناس منذ خلق آدم (عليه السلام) وفي كل جيل يبعث الله لهم رسلاً مـؤيدين من الله بكل الحجج والبراهين التي تثبت وحدانية الله (سبحانه).

والحـديث في هـذا يطول نـذكر منه تأييـد الله لموسى (عليه السلام) بالآيات العظيمة.

كفـرق البحر فرقين حـينما عبـر موسى (عليه السلام) وقومه البـحر وأُغرق فرعـون وجنوده، وآيات ومعجـزات سيدنا عـيسى (عليه السلام)، وآيات سيدنا محـمد (صلى الله عليه وسلم). وأما جيلـنا الذي انقطع عنه الأنبياء فـقد ترك الله بين أيدي هـذا الجيل كل الإمكانيـات ليرى قدرة الله بنفسه في كـونه وأرضه وبحره، وكأن هـذا الزمن ليس بحـاجة إلى أنبـياء فهـم لم يعودوا في حـاجة إلى معجزات الأنبياء، أليس لديهم علم الكون، وقد علموا قدرة الله فيه وعلموا أن هـذا الكوكب الذي نعـيش فـيه ليس إلا واحـدًا من آلاف البـلايين أو المليارات من النجوم والكواكب التي تسبح في الفضاء وقد علموا أنه لا يمكن أن يكون خالق هـذا الكـون الهائل (الذي لا يمكن أن تستوعبـه عقولهم) إلا إلـهًا واحدًا لا شريك له ولا ولد، إنهم علموا وإن لم يعـلموا فسيعلمون، ومن علم ولم يعمل بما علم فإن حسابه عند الله عظيم.




أشجار الأرض جميعها..
لو صنعت أقلام.. وبحار
الأرض جميعها.. لو كانت
مداداً.. مانفدت كلمات الله.
(عز وجل)

قال (تعالى):

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧].

إن من عظيم هذه الآية القرآنية الكريمة أنها بحر زاخر مليئة بالكنوز والدرر والياقوت.

ولا أتصور أن يد وعقل بشر تستطيع أن تلم بالمراد من هذه الآية الكريمة فهي قلعة محصنة، الاقتراب منها يعني الاستعداد لفهم مرادها، فكل كلمة فيها ياقوتة نفيسة فيها سر عجيب في الخلق والقدرة والمعنى، وهذه الآية العظيمة تعني الكمال المطلق للواحد الأحد...

فإن القدرة الإلهية ... في هذه الآية لا يمكن أن تعرف أو توصف، فالبشرية بما ملكت من أسباب القوة والقدرة في نهايات القرن الحالي لم تستطع أن تتعدى حدودًا مرسومة لها من قبل الله ولا تزال تبحث في الأرض وفي النفس وما أن تصل إلى شيء ما تجد نفسك أمام أشياء جديدة أخرى، وهكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها ...

فإذا كان أقرب نجم لنا خارج حدود المجموعة الشمسية التي نعيش ضمنها يبعد عنا أربع سنوات ونصف سنة ضوئية ... وضمن إمكانيات البشر المتاحة لا يمكن الوصول إليه أبدًا... وما مجرتنا التي فيها مجموعتنا الشمسية إلا واحدة من آلاف المليارات من المجرات التي تسبح في كون وقدرة الله اللامتناهية فكيف نصل إلى كلمات الله وعلمه وقدرته... فهذه الآية تصوير رائع، وكناية عن قدرة الله التي لا يمكن لعقولنا الصغيرة إدراكها فقط وليس لمسها. وما نلمسه من قدرة الله حتى الآن لا يتعدى حدود معيشتنا وحياتنا.

فقد صور الله لنا في هذه الآية سعة علمه وعظيم سلطانه وافترض أن البشرية كلها مجتمعة تريد أن تبحث في قدرة الله وعلمه وقد جهزت لهذا البحث أقلامًا تصنع من كل شجر الأرض... وكم قلمًا تصنع من شجرة واحدة؟ ...وكم عدد شجر الأرض؟

والبحر مداد «حبر» يمد هذه الأقلام التي صنعت من كل شجر الأرض.

وكم قارورة «مداد» ... يصنع البحر الواحد؟

وكم كتاب يكتب من قارورة «مداد» واحدة؟

ولم يكتف الله عند هذا الحد من التصوير الذي يفوق حد تخيل العقل إنما زاد في المثل المضروب إنكم أيها البشر إذا انتهيتم من الكتابة لمعرفتي ومعرفة قدرتي وقد انتهى مداد البحر الأول فإليكم ببحر ثان واستعملوه كمداد وإن لم يكف فاستعملوا الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع...

وماذا بعد؟ إنكم لن تصلوا إلى شيء من قدرتي وعلمي فهل تحطمت عقول البشر؟ لا. نحن خلفاء في الأرض وفضلنا على كثير من خلقه ... ولكن هذا هو الله قدرته لا تنتهي وعلمه لا حدود له وجبروته وعظمته ورحمته وخيره عظيم وله ملك وغنى لا حدود له، هذه الآية ليست تحطيمًا لنا ... إنما هي عظمة الواحد القهار الأحد، إنها آية تسجد لقائلها عقولنا وقلوبنا وأرواحنا وكل ذرة من أجسادنا وتجعلنا نتيه في بحر الحب الإلهي وفي بحر الكرم الإلهي وفي بحر العطاء والرحمة فلندخل في ملك الله وعطائه فقد قال الله في حديث قدسي:

«يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وقفوا في صعيد

واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص مما عندي ... إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر» [أخرجه الإمام مسلم في صحيحه].

فأين نحن من عظمة الله وقدرته وسعة ملكه.

والله حريص أن يُعرِّف نفسه لخلقه حتى يعلموا من هو المعبود...

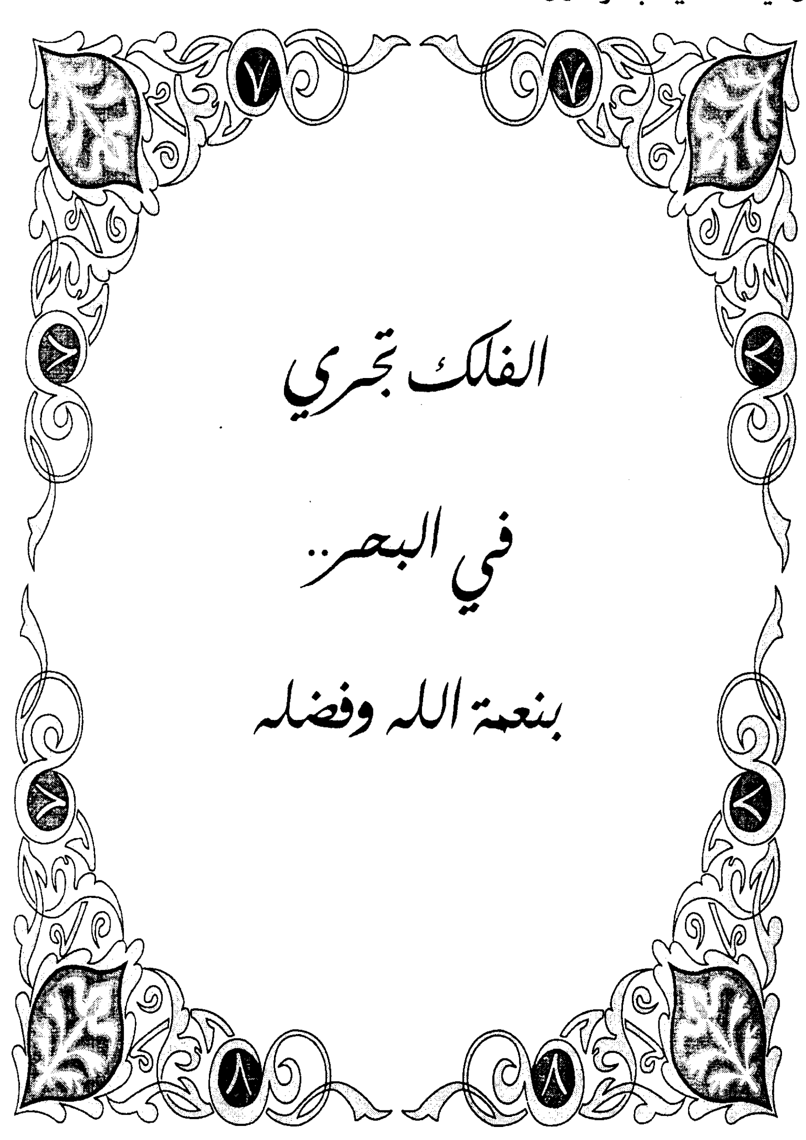
قال (تعالى): ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢].

وما خلق الله السماء والأرض وهذا الكون الواسع إلا لنتفكر ونتدبر ونعلم قدرة الله من خلاله، وذلك لقوله (تعالى): ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

فالله عزيز حكيم وقادر مقتدر، وقوي متين ...

فما أعظمك يا ربي وما أكرمك يا خالقي فأنت خلقت وصورت وأبدعت فلك العتبى حتى ترضى.




الفلك تجري
في البحر..
بنعمة الله وفضله

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١].

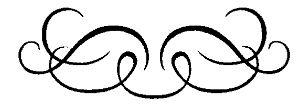
إن الله (سبحانه) في هذه الآية الكريمة يبين لنا أن نعمة الفلك بالنسبة إلينا نحن البشر نعمة كبيرة جدًا.

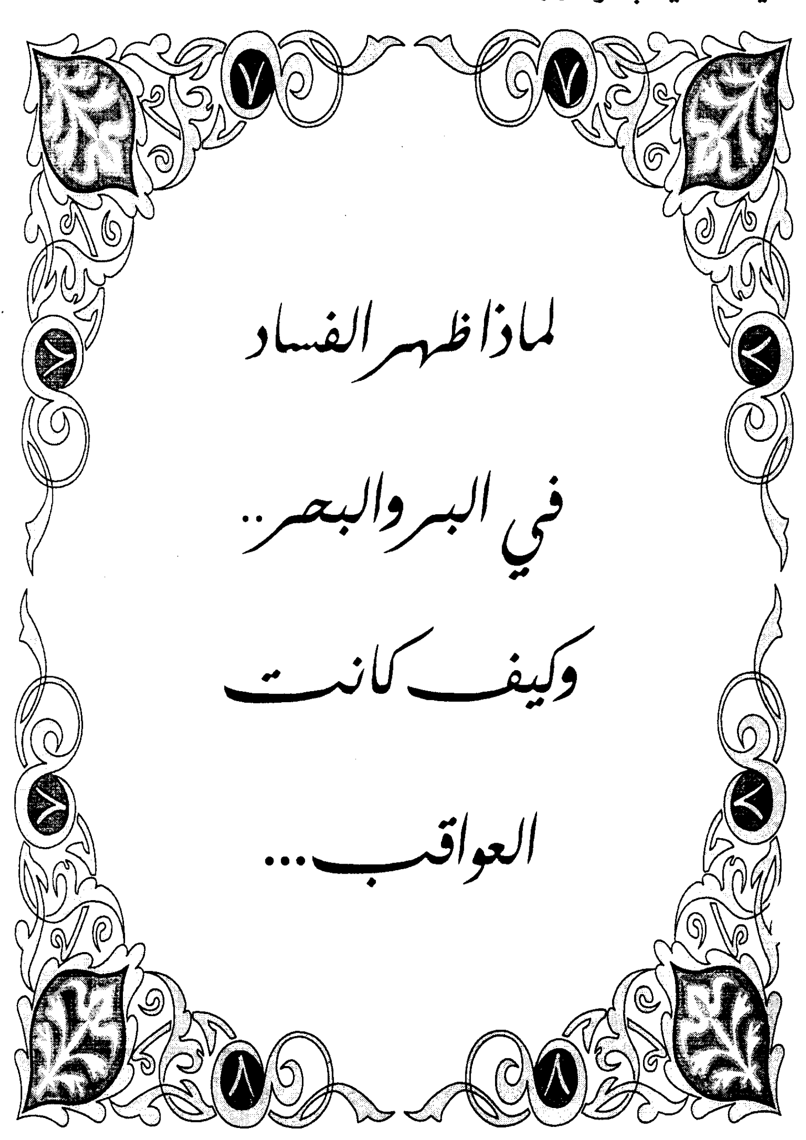
فالفلك آية من آيات الله جعلها وسيلة لنرى معجزات الله بها، والبحر والنهر آيتان من آيات الله بما يحملان من أسرار خلقه وعجيب صنعه، وقد سبق لي وفي آيات أخرى أن بينت معجزات الله في البحار من الحواجز إلى الحجر المحجور إلى البحر المسجور إلى الظلمات التي في أعماق البحار اللجية، فالفلك نعمة من نعم الله علينا فكيف نصل إلى آيات الله في البحار إن لم يهيئ الله لنا ما نستطيع به أن نخوض البحار لنتعرف على أسرارها ونستفيد بما خلق الله في البحر والنهر من لحم طري نأكله وحلية نلبسها.

ومن نعم الله علينا نحن أهل هذا العصر أن هيأ لنا بقدرته ما نستطيع به أن نسير في أعماق البحار ونرى بأعيننا تلك المجاهل التي تعيش فيها آلاف الأنواع من الحيوانات البحرية، والناظر إلى تلك المخلوقات يسجد حمدًا وشكرًا لهذا الخالق الذي خلق فأبدع وصنع فأذهل، فالنظر إلى سمكة واحدة وبما وهبها الله من دقة الصنع والخلق تبهر العين لتناسق ألوانها وأشكالها الرائعة وما يزيدك إيمانًا ما تراه في أعماق البحار من وديان وجبال ومرجان وأعشاب ومعادن تجعلنا نسجد إجلالاً وإكبارًا لهذا الخالق العظيم، لهذا المصور الذي صور فأحسن التصوير.

إن ما نراه في عالم البحر وأخص جيلنا هذا الذي هيأ الله له ما يرى

بعينه ويسمع بأذنيه، هذا الجيل المطالب بقوة الإيمان وزيادة التقوى، وأن نكون عباد الله صابرين وشاكرين فما أعظمك يا ربي وما أبدع خلقك، ونشكرك على ما أنعمت فما ينبغي لأنفسنا أن تتوقف عن الشكر على الدوام والحمد لله رب العالمين.





لماذا ظهر الفساد في البر والبحر.. وكيف كانت العواقب...

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

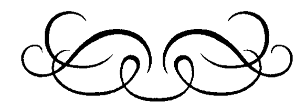
في هذه الآية الكريمة إشارة من الله (سبحانه) أن الخير والرزق الذي تخرجه الأرض من الغيث الذي يرسله الله رحمة للناس كاد ينضب ويشح بما نفعله من المعاصي والذنوب والآثام.

والأرض حينما تنضب ويقل خيرها فكأنها قد فسدت، واستعمال كلمة الفساد في الآية تعبير مجازي يستعمل في الدلالة على قلة الخير وفقدان الرزق، فإن كان الخير كثيرًا والأرض مليئة بالزرع والعطاء فلا فساد، فالفساد يظهر بسبب الفسق والفجور وجحود حق الله.

ومعنى أن الفساد ظهر في البحر أي في المدن التي تعيش على الأنهار والتي يأتي موردها ورزقها وخيرها عن طريق النهر الذي يمر عليها وهنا يمسك الله النهر فتقل مياهه وربما تفسد بما يزيد فيها من بكتيريا وجراثيم وطحالب فيستغيث أهلها ويتضرعون ساعتها لله، وهذا حال كثير من البشر، لقوله (تعالى): ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ [العلق: ٦، ٧].

فكلما رأى (سبحانه) عباده حادوا عن الطريق الصحيح وغرتهم الحياة الدنيا ونسوا الله واعتدوا بأنفسهم وظنوا أنهم قادرون على الحياة جاءهم أمر الله، فمنهم من يكون عقابه الدمار الكامل، ومنهم من يكون عقابه أن يدمر الله زرعهم كأصحاب الجنة التي ذكرها الله في سورة «ن» وفي سورة «الكهف» ويميت دوابهم ويُذيقهم من العذاب ولكن دون الموت النهائي لعلهم يرجعون إلى الله، ومنهم من يكون عقابه خفيفًا فيقتر عليه رزقه

فيُرسل عليهم الماء بمقدار قليل ويجعل زرعهم بين الحياة والموت ويقتر عليهم ماء الأنهار أو يجعلها كالطوفان فتُغرق بعض زرعهم وحيواناتهم، كل ذلك رحمة بالبشر لعلهم يعودون إلى الطريق الصحيح الذي يريده الله لعباده، فالله لا يريد فسادًا ولا دمارًا لأحد، ومن أسماء الله الحسنى «الصبور» فترى الله يصبر على عباده ولكن إن زادوا في غيهم وفسادهم وضلالهم فسوف يكون الله شديد العقاب، وما قوم عاد وثمود إلا مثلان لنا ذكرهما في القرآن الكريم ليطلعنا أن الله شديد في عقابه على أقوام إن لم يرتدعوا ويعودوا إلى منهج الله (سبحانه) وكل ما يريده الله من عقابه للناس أن يعودوا إلى الله فينتهوا عما حرمه ويحلوا ما أحل ويكونوا شاكرين لله عابدين لهم لسان حالهم يردد الحمد والشكر وعملهم طاعة الله فيرسل ساعتها عليهم السماء مدرارًا فيعم الخير وتزداد رحمة الله عليهم.





البحار والأنهار

وتعدد نعم..

العزيز القهار...

قال الله (تعالى):

﴿ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٦١].

لقد صدق الله (سبحانه وتعالى) إذ قال: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨]. والحمد والشكر أوجدهما الله تعبيرًا من العبد لخالقه الذي يعطي عباده وييسر لهم كل سبل الحياة الرضية الهانئة، والمقابل هو الحمد والشكر لله، لا أن نجحد كما جحد بنو إسرائيل نعمة ربهم ثم نتخذ إلـهًا آخر نعبده...

أربع معجزات إلهية في هذه الآية العظيمة.

﴿ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا ﴾.

أي أن الله بقدرته وعلمه هيأ لنا نحن البشر هذه الأرض وجعلها لنا سكنًا وقرارًا، والسكن يجب أن يكون آمنًا، كما تأمن على نفسك في بيتك وتأخذ بأسباب الحيطة والحماية من أي اعتداء وهجوم عليك من الخارج فتصنع النوافذ وتشبكها بالحديد وتصنع الباب وتجعل عليه قفلاً محكمًا.

والله (سبحانه) حينما أراد أن يجعل هذه الأرض قرارًا وسكنًا لعباده فلا بد من توفير سبل الحياة رحمة بخلقه جميعًا، فقد جعل الله للأرض غلافًا جويًا يحمي الأرض وساكنيها من هجوم الشهب والنيازك المدمرة من السماء وجعل في الأرض رواسي (جبالاً) من أجل ألا تميد الأرض وتفقد توازنها، وجعل فيها الماء والبحار وخلق الزرع والأشجار وأمَّن البشر من فتك الحيوانات المفترسة، وما خلق من داء في الأرض إلا وله دواء، وترك

للإنسان حرية التفكير والتـأمل بما هيأ الله له من سبل الأمن والأمان، وفوق هـذا أرسل لهم الرسل لتـعلمهم وتهذبهم وتعيـدهم إلى الطريق الذي شذوا عنه. فالله لم يخلق عـباده للعذاب والشقـاء والجوع والحرمان، فـفضل الله علينا عظيم.

أما قوله (تعالى): ﴿ **وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً** ﴾.

هـذا فعلاً لا يأتي من الطبيعـة البلهاء فالأنهار يجب أن يكون مجراها خلال الأرض اليابسة لتوفر وتؤمن سبل الحياة لأهل الأرض.

فالأنهار هي أحد الأسباب الرئيسية في استمرار الإنسان على الأرض، فلولا وجودها لانعـدمت الحياة على الأرض، فـمن أين يُسقى الزرع؟ ومن أين تشرب الحـيوانات؟ وكيف يعيـش الإنسان دون ماء يأتي إليه دون جـهد وتعب يحيطه في مسكنه كما تحيط الأنهار بسكان أهل الأرض؟

والقدرة الإلـهـية نلمسها في عمـلية عكسية. فماذا لو أن مـياه الأنهار التي تجري في الأرض مالحـة ومياه البحار هي العـذبة، فلو كان الصانع هو الطبيعة كما يقول الملاحدة ألا تخطئ هـذه الطبيعة؟ فإذا كنا نحن البشر وبما نحمل من عقول وتفكير تخطئ في اليوم مـرات ومرات أفلا تخطئ الطبيعة وتجعل الماء الذي يجري في الأنهار مالحًا؟!! طبعًا هـذا ممكن وأكيد. فجريان الماء في اليابـسة أكبـر منَّة وفضل من الله على عـباده ـ فلنحـمده ونشكره ـ وحاشا لله أن نعبد سواه فهو الخالق المستحق للحمد والشكر على الدوام.

﴿ **وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ** ﴾.

وهنا نبت راسخ ثابت، وقبل أن أدخل في مـوضوع الرواسي أيستطيع

أحدنا أن يبني بيتًا أو عشًا أو حتى خيمة دون أن يجعل لها أساسًا متينًا يحمي هذا البناء من السقوط؟ وكم من البيوت الشامخات سقطت وهوت... لمجرد ضعف أساسها.

وهكذا الأرض لا يمكن أن تثبت وتستمر ملايين السنين لولا هذه الجبال التي جعلها الله أوتادًا تحمي الأرض من الميد والاهتزاز.

وهنا معجزة خالدة سجلها القرآن منذ ١٤١٥ عامًا على... لسان سيدنا محمد النبي الأمي (ﷺ).

قال (تعالى): ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ۞ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا** ﴾ [النبأ: ٦، ٧].

قال (تعالى): ﴿ **وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ** ﴾ [الأنبياء: ٣١].

وقال (تعالى): ﴿ **وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ** ﴾ [النمل: ٦١].

محمد (ﷺ) أمي لا يقرأ ولا يكتب وهو بعيد تمامًا عن جيولوجية الأرض وليس هو فقط ولكن من عاش في زمنه، فهم لا يعلمون شيئًا عن الأرض والبحار والجبال والنجوم التي تحدث عنها القرآن الكريم.

فإذا كان العلم لم يكتشف إلا في هذا القرن أن الجبال هي أوتاد الأرض ولولا الجبال لاستحالت الحياة على الأرض، فالجبال هي المثبتة للأرض، وهي الحافظ الأمين للكرة الأرضية.

نعم! ولقد وجدوا أن أي جبل على الأرض له قاعدة مثله تمامًا تحت الأرض، فالوتد الذي ذكره القرآن هو تحت الأرض تمامًا، وحينما نريد أن

نثبت وتدًا لنصب خيمة فلا بد أن يكون نصفه الأول تحت الأرض ونصفه الثاني فوق الأرض لإتمام عملية الثبات الكلية.

فلو أن محمدًا (ﷺ) جاء في عصرنا هذا وجاء بهذه العلوم وذكرها في القرآن لقلنا: إن محمدًا (ﷺ) لم يأت بشيء لأن هذا معروف لدى العلم والعلماء، ولكن محمدًا (ﷺ) جاءت رسالته ونزل إليه القرآن في زمن أهله أبعد عن العلم والمعرفة بالكون وفي كل شيء.

ولذلك لا يمكن أن يكون هذا الكلام إلا من عند الله العالم العليم الذي يعرف أساس الخلق أوله وآخره قديمه وحديثه.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾.

ولقد سبق الحديث عن معنى الحاجز وأنه قدرة عظيمة من الله (سبحانه) وقد وضع الله حاجزًا بين أي بحرين على سطح الكرة الأرضية، وليس من شيء خلقه الله (سبحانه وتعالى) إلا وله مدلول عظيم في معرفة الخلق وأساسه، فلا يمكن أن يكون هناك حاجز بين البحرين لمجرد وجود حاجز، فلا بد له أن يكون خيرًا عظيمًا لخلق الله، فالله وحده يعلم ماذا يعني وجود حاجز وقد بدأ العلم يعرف سر وجود الحاجز بين البحرين المالحين وذاك للمحافظة على بيئة أي بحر له خواصه المعينة ومعادنه وحيواناته ومرجانه وأعشابه، وربما يكون في الخلط بين البحرين استحالة الحياة في البحار لأنواع كثيرة من الحيوانات والمعادن والمرجان، تمامًا كما يحدث على الأرض، ففي كل أرض بيئة معينة لخلق حيوانات معينة، فالبطيخ الأحمر لا يعيش في البلاد الباردة كما أن حيوان البطريق لا يعيش على خط الاستواء، وكذلك في البحار فلكل بحر حياته الخاصة فصل الله بينهما بحاجز من

قدرته وهو نوع ثالث من المياه لا يسمح بدخول مياه أي بحر إلى مياه البحر الملتقى به فالله لم يجعل الحاجز حائطًا فولاذيًا فهذا عيب في الخلق، ولكن قدرة الله والمحافظة على جمال الطبيعة جعلته وضع الحاجز المائي من نوع ثالث من المياه وهذا سر الإعجاز والعظمة والقدرة المتناهية، سواء بين البحرين المالحين أو بين البحر المالح والنهر العذب.

محمد (ﷺ) رجل عادي بشر مثلنا لا تستطيع عيونه أن تخترق مداها وتكشف أسرار عظيمة وخاصة أنه يعيش في بيئة صحراوية قاحلة قاسية لا حضارة فيها ولا علم، فالعلم الآن وتعاون البشر كلهم في الأرض وبما وهبهم الله من علوم لا يزالون في بداية الطريق، ولولا الأقمار الصناعية لما عُرف تمامًا سر الحواجز المائية بين البحار رغم التقدم الهائل التكنولوچي فيما سبق وكانت كلها دراسات غير مؤكدة.

ورغم كل هذا الفضل العظيم وهذه القدرة الإلهية فإنا نرى أن أفرادًا وأقوامًا يجعلون مع هذا الإله العظيم إلهًا آخر لجهلهم وعنادهم وكفرهم ويجحدون حق الله وقدرته، وصدق الله (تعالى): ﴿**مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ [الحج: ٧٤].




البر والبحر والهداية
في الظلمات ... وإرسال
الرياح بشراً بين يدي .. رحمته
خالق الأرض والسموات...

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣].

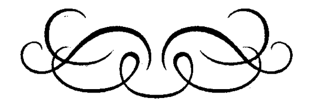
هذه الآية الكريمة خطاب موجه إلى المشركين الذين أعماهم الجهل عن التفكير السليم والرؤية الواضحة فالله في هذه الآية يبين للناس فضله وكرمه عليهم، وأن كل وسائل حياتهم بيد الله (سبحانه) ولكنهم لا يفقهون.

فالماء والزرع والريح والنجوم والهواء والحياة والموت والرزق كل ذلك بأمر الله أفلا تعقلون بل يهرعون بسذاجة العقول المصطنعة والمقترنة بمصالح دنيوية مادية على العمل بترك تلك الأصنام الحجرية شريكًا لله، تعالى الله عما يفترون.

إنهم يدعونها ويتقربون إليها وكل ظنهم مع جهلهم أنها هي التي تضرهم وتنفعهم، وما من شك أن رجلاً لديه عقل هبة من الله يظن فعلاً أن تلك الحجارة هي الآلهة أو شريك الإله، ولكن المصالح المادية والدنيوية هي التي أعمتهم عن فهم الحقيقة أو سماعها، وربما يعلمون أن الله وحده هو الحق ولكن شياطينهم تزين لهم دائمًا عكس ذلك وتبعدهم عن الوصول إلى الحقيقة والاعتراف بها إنه الله الذي لا إله إلا هو.

والله (سبحانه) في هذه الآية الكريمة يبين للناس بقول حق يقرع أسماعهم إنني أنا الله الذي أنير لكم طريقكم في ليلكم ونهاركم بما وهبتكم وزينت لكم السماء بتلك النجوم الهاديات من مجاهل الضياع والهلاك، وأنا الذي جعلت لكم في الأرض علامات كالجبال والتلال والوديان والصحراء والغابات حتى لا تضلوا طريقكم ومسيركم، بل تهتدوا بها لتوصلكم إلى بر الأمان، فلو أن الله جعل الأرض مسطحة كلها تشبه بعضها بعضًا، فكيف

نسافر ونرحل ونعود، فلا علامات ولا إشارات، والبحر هذا المسلك المجهول لا أثر فيه ولا علم لأحد أو شيء فجعل الله لنا النجوم لنهتدي بها في مجاهل وظلمات البر والبحر، فكيف لنا أن نعرف المشرق والمغرب والشمال والجنوب ونحن نسير في أغوار البحر وجاءنا الليل البهيم لولا تلك الهاديات من النجوم، ثم إنكم لو تعلمون ما لهذه الرياح من خير ينعكس عليكم لأدركتم قدرة الله ولعلمتم أن الله هو مانح الرحمة والخير، فالرياح هي التي تُسيِّر السحاب بأمر الله لينزل الغيث على بلد ميت أو منطقة بحاجة إلى الماء. والرياح هي اللواقح للشجر تحمل غبار الطلع الذي يقوم بعملية تلقيح الأشجار، فلو أنكم تعلمون هذا لأدركتم رحمة الله وعلمه وقدرته ولكنكم تجهلون وأعماكم عنادكم ومصالحكم واتخذتم مع الله إلهًا آخر فتعالى الله عما يشركون.




مقارنة.. بالغة الدقة..
بين البحرين
مع اشتراكهما في المنافع
لبني الإنسان...

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [فاطر: ١٢].

اختلاف البحرين العذب والفرات والملح الأجاج آية من آيات الله (سبحانه وتعالى)، ومن يقدر على هذا الأمر إلا الخالق القادر الذي بيده الأمر كله فمنَّة الله في هذا منَّة عظيمة وفضل لا يعدله فضل.

ومعجزة الله الخلقية في أن فصل البحار المالحة عن العذبة بحواجز مائية من نوع ثالث من المياه قد سبق وتكلمت عنها في عدة آيات قرآنية في أول الكتاب.

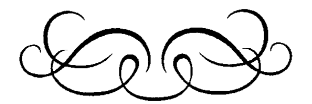
ولكن في هذه الآية يتحدث الله عن قدرته وفضله بأن فرق بين المياه فجعل منها العذب الفرات مما نشربه وتشربه دواب الأرض ونسقي به الزرع والشجر والحرث، وجعل منها العذب والملح الأجاج الذي جعله الله بقدرته بحارًا ومحيطات وخلق في هذا الماء المالح ما شاء ونَوَّع في الخلق وجعل البحر آية من آياته.

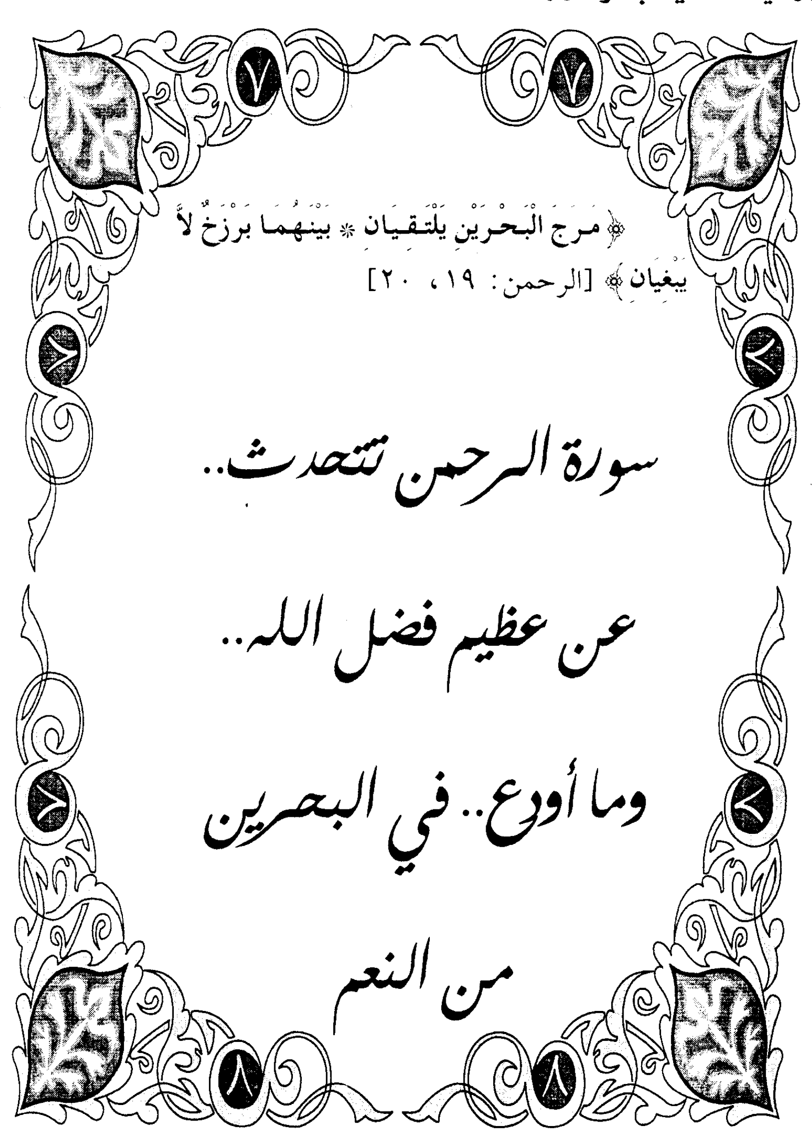
وبعد أن تطور العلم وعرفنا ما في البحار من دلائل علم الله وقدرته أدركنا عظمة الخالق فيما خلق وصنع، ومن عظمة هذا الخالق أن جعل لنا في البحر منافع كما لنا في النهر منافع، وجعل في كلا الماءين المالح والعذب حياة نستفيد منها، فنوَّع بقدرته أنواع الحيوانات المائية الطرية واللذيذة الطعم وأساغ طعمها لبني البشر، فلم يجعل طعمها علقمًا بل جعلها لنا غذاءً وطعامًا وفوق كل هذا ما نستخرجه من البحر من حلية نلبسها ونستفيد منها وما أكثر أنواع الحلي، فاللؤلؤ والمرجان وأنواع أخرى

كانت لنا زينة واستخدامنا لها قيمة مادية نتداولها.

ومن رحمته تعالى أن جعل الفلك تمخر عباب البحار فتساعد الإنسان في الوصول لبغيته وطلبه الرزق والطعام داخل هذا الماء الذي جعله الله لنا عونًا وخيرًا، فما أكرمك يا ربي أعطيت فأجزلت العطاء وتكرمت علينا حتى خجلنا من أنفسنا وأنعمت حتى لم نستطع الشكر الحق.

فالحمد لله يا ربي والشكر لك على ما أعطيت وأنعمت فيا ليت شكري وحمدي يكفي نعمك وفضلك وكرمك.





﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠]

سورة الرحمن تتحدث..

عن عظيم فضل الله..

وما أودع.. في البحرين

من النعم



﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠].

بداية الاكتشاف:

سفينة فضائية وهي واحدة من عشرات السفن تصور چيولوچية الأرض كدراسة أرضية وبحرية، قامت بتصوير نقطة التقاء البحرين عند مضيق جبل طارق ما بين دولتي أسبانيا والمغرب العربي وما بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، وصورت أيضًا نقطة التقاء البحر الأحمر بالمحيط الهادي عند مضيق باب المندب بين اليمن وأثيوبيا.

وأرسلت الصور إلى الأرض وقام بدراستها علماء مختصصون بالبحار فوجدوا أن الصور تشير إشارة واضحة إلى وجود حاجز يقع ما بين البحرين فالصور تشير إلى أن شكل البحر الأبيض المتوسط واضح تمامًا وله لون في الصورة مختلف تمامًا عن شكل ولون المحيط الأطلسي وهذا معروف لدى علماء البحار، ولكن ما شد انتباههم رؤيتهم لشكل ولون آخر ظهر ما بين البحرين وظهر في الصورة المرسلة للبحرين المتجاورين وله عرض واضح بعد تحديد المسافات على الصورة المرسلة.

ومن قبل كانت الدراسات تشير إلى وجود بعض الاختلافات المائية في المنطقة الفاصلة بين البحرين وحياة سميكة مختلفة أيضًا، ولكنهم لم يكونا جازمين في معرفته ولكن حينما أصبحت الصور الواضحة بين أيديهم من الفضاء، أصبح الأمر مؤكدًا ويحتاج إلى دراسة جيدة للخروج بتقرير علمي صحيح مائة في المائة، وما ينطبق على نقطة التقاء البحرين المالحين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي ينطبق على كل البحار في العالم، ومن

الطبيعي إرسال بعثات علمية مجهزة تجهيزًا تكنولوجيًا وإليكترونيًا لدراسة مستفيضة لما لديهم من معلومات جديدة شبه مؤكدة بعد التصوير الفضائي الذي تم من المراكب والسفن الفضائية التي اعتبرتها الدول المتقدمة أحد أكبر منجزاتها العلمية، ولقد أكدت البعثة الألمانية البحرية التي جاءت إلى مضيق باب المندب لدراسة هذه الظاهرة العلمية أن وجود حاجز بين البحرين أصبح أمرًا مؤكدًا، وقالوا نعم لقد تم تصوير هذا الحاجز عن طريق السفن الفضائية، وهذا ما قاله أحد العلماء المسلمين في محاضرة له في جامعة الملك فيصل التي أولت هذه الدراسة أهمية كبرى لما لها من علاقة عميقة جدًا بالقرآن الكريم.

قلنا: إن البعثات العلمية حضرت إلى نقطة التقاء البحرين وإحدى البعثات (التي يرأسها العالم الأمريكي «رونار كلنت») استعانت بعالم البحار الكبير والمشهور عالميًا «كوستو» الذي يعد أكبر وأشهر عالم في البحار على مستوى العالم وأول ما فعلوا أنهم حددوا المنطقة الفاصلة ما بين البحرين على حسب الصور المرسلة من المراكب الفضائية وحسب المقاسات الأرضية وجدوا أن عرض المنطقة الفاصلة بين البحرين خمسة عشر كيلو مترًا.

يا سبحان الله!

نعم! وجدوا أن هذه المنطقة الفاصلة التي يبلغ عرضها خمسة عشر كيلو مترًا هي نوع ثالث من المياه لا هي من مياه البحر الأبيض المتوسط ولا هي من مياه المحيط الأطلسي ووجدوا أن حرارة المياه في المنطقة الفاصلة بين البحرين تختلف عن حرارة البحرين المتجاورين ووجدوا أن الكثافة المائية أيضًا في هذه المنطقة مختلفة عن البحرين المتجاورين وبالتحديد ثبت لديهم

أن نسبة الأملاح والمعادن مختلفة أيضًا، وبالدراسة الميدانية وجدوا أن هناك خلافًا بين بعض الحيوانات المائية التي تعيش في المنطقة الفاصلة عن الحيوانات المائية التي تعيش في البحرين، ثم أحضروا عينات مياه من البحر الأبيض ومن المحيط الأطلسي ومن المنطقة الفاصلة وقاموا بخلطها فاختلطت، ولكن في البحر لا تختلط، أعادوا المحاولة مرارًا فوجدوا أن الماء المستخرج كعينات للدراسة يختلط بعضه على ظهر السفينة ولكن في البحر لا تختلط.

وأخيرًا أقروا بوجود حاجز مائي من نوع ثالث من المياه يفصل ويحجز ماء البحرين البحر الأبيض والمحيط الأطلسي ويمنعهما من الاختلاط، علماء البحار قالوا: ليس هناك من نظرية أو فرضية فيزيائية أو جيولوجية تمنع اختلاط المياة مع بعضها وإن اختلفت نسب الكثافة والحرارة والملوحة.

إذًا العلم وعلماء البحار أقروا واعترفوا بأن هناك حاجزًا يفصل بين البحرين. وهذا الحاجز هو نوع ثالث من المياه تختلف بدرجة الحرارة والكثافة والملوحة والمعادن، وهذا ما أكدته كل الصور المرسلة من الفضاء وهذا الحاجز له القدرة والخواص التي تمنع أحد البحرين أن يختلط بالبحر الآخر وتحجزه حجزًا رغم أنهم لم يلمسوا قانونًا مائيًا يمنع اختلاط المياه بعضها مع بعض. (راجع كتابات الدكتور أحمد زكي).

إذًا هذا هو الله العلي القدير والقادر المقتدر ، وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن؛ فيكون.

قال (تعالى): ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [يس: ٨٢].

وحينما أراد الله (سبحانه) بقدرته وعلمه أن يعبر موسى (عليه السلام) وقومه البحر ألم يفرق البحرين فرقين كل فرق كالطود العظيم وجعل بين الفرقين طريقًا سالكًا آمنًا لموسى وقومه.

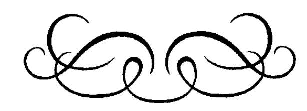
فهل توجد نظرية علمية تستطيع أن توقف الماء على جنبه «سيفه» لمدة طويلة من الزمن طبعًا لا يوجد، ولو اجتمعت لها البشرية كلها فلن تستطيع ذلك ولو لثوان معدودة، ولقد وجدوا الحياة في البحار تشبه حياة الشعوب على الأرض اليابسة فكما أن لكل شعب حياته وعاداته وطباعه ولغته ولهجته ولونه فإن لكل بحر حياته وحيواناته وأعشابه ومرجانه ومعادنه، وقد فصل الله الشعوب في الأرض عن بعضها وقال:

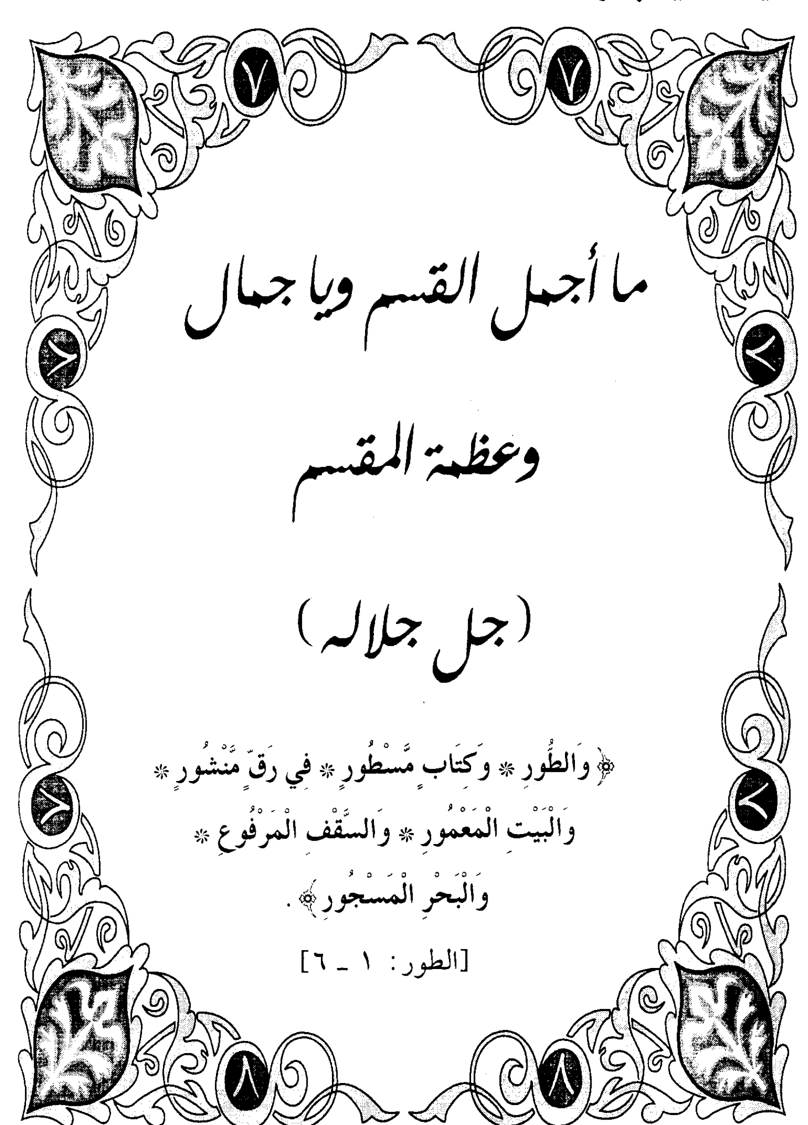
﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال (تعالى): ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً** ﴾ [هود: ١١٨].

وإياك أن تظن أن الله خلقنا أممًا وشعوبًا هكذا عبثًا فكل شيء عنده بقدر ووزن دقيق جدًا، وما ينطبق على الأرض اليابسة ينطبق على البحار وساكنيها؛ فساكن البحار من شتى أنواع الحيوانات أمم أمثالنا أما عن الطريقة فالله أعلم بخلقه وما خلق وذلك بقوله (تعالى):

﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم** ﴾ [الأنعام: ٣٨].





ما أجمل القسم ويا جمال وعظمة المقسم

(جل جلاله)

﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾.

[الطور: ١ ـ ٦]

إنها آية عظيمة من آيات الله ومعجزة من معجزات الله (سبحانه) أنزلها على لسان نبيه ورسوله محمد (ﷺ).

إنها رحدى الحجج والبراهين التي أقرها الله (سبحانه وتعالى) لعباده وهذه الآية تدخل ضمن وعد الله (سبحانه) لقوله (تعالى): ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾ [فصلت: ٥٣].

والله بعلمه يعلم أن هذه الآية سيكتشف إعجازها حينما يحين الوقت الذي يريده الله وتصل البشرية إلى علم يؤهلها لكشف تلك المعجزة الإلهية.

ولا بد لي قبل أن أدخل المدخل العلمي لهذه الآية الكريمة من أن أشرح كلماتها تفصيلاً، ثم أنتقل إلى شرحها جملة وبعدها أذكر ما جاء به العلم المعاصر لنقارن تلك الاكتشافات التي هيأها الله (سبحانه) للبشرية بقدرته وإرادته بهذه الآية الكريمة.

﴿ **وَالطُّورِ** ﴾: الواو واو القسم، «الطور» جبل موسى (عليه السلام) الذي كلمه الله عليه، أي أقسم بجبل الطور.

﴿ **وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ** ﴾: الواو واو العطف، «كتاب مسطور» هو القرآن الكريم أي وأقسم يالقرآن الكريم؛ لأن المعطوف على قسم مثله.

﴿ **فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ** ﴾: اللوح المحفوظ الذي سطرت به المقادير.

﴿ **وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ** ﴾: الواو واو العطف، «البيت المعمور» بيت في السماء السادسة مقابل الكعبة المشرفة يحجه في كل يوم منذ أن خلقه الله سبعون ألف ملك ولا يعودون إليه أبدًا.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾: الواو واو العطف. «السقف المرفوع» السماء التي رفعها الله بما فيها بقدرته.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾: الواو واو العطف، «البحر المسجور» البحر المتلئ المشتعل نارًا.

هذه الآية الكريمة من سورة الطور وفي أولها يقسم الله (سبحانه وتعالى) خمس مرات متتاليات لتأكيد الواقع بعدها وما أقسم الله في آية خمس مرات متتاليات إلا في هذه الآية الكريمة؛ وذلك لجلالة الحدث الذي يقع بعد هذا القسم لقوله (تعالى): ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧، ٨].

وهنا يجب أن أتوقف عند ملاحظتين إثنتين تتعلقان بقسم الله (تعالى):

١ ـ أن الله لا يقسم إلا بشيء عظيم بالنسبة للبشر.

٢ ـ إن الله لا يقسم بشيء غير موجود.

* ومن هنا نفهم أن الله (سبحانه وتعالى) حينما أقسم بكل ما أقسم به؛ لأنه شيء عظيم موجود.

﴿وَالطُّورِ﴾: وهو جبل موسى وهو موجود.

﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾: وهو القرآن الكريم وهو موجود.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾: وهو بيت تحجه الملائكة في السماء وهو موجود.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾: وهو السماء وهي موجودة.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾: البحر المشتعل نارًا ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧ ، ٨]. وهو موجود.. ولكن أين؟

توقفت الأقلام والآراء عن الخوض في تفسير هذه الآيات كثيرًا جدًا حتى لا يقعوا في المحظور أو يخطئوا في التفسير فتكون عليهم نقمة عظيمة وليست نعمة، ولا شك أن الأوائل في الإسلام كانوا حريصين على التقوى والامتثال ... هذا في زمن حاضر بعثة سيدنا محمد (ﷺ) فماذا عن الجيل الذي تلا رسول الله (ﷺ).

بعدما افتُتحت الأمصار ودخل في الإسلام كثير من المجوس والنصارى وتداخلت كثير من الثقافات، وبرز كثير من العلماء البررة الذين وهبوا حياتهم للدين والقرآن وحديث رسول الله (ﷺ) في جمعه وشرحه وتفصيله.

والحقيقة أن علماء تلك الفترة من زمن الإسلام - وأقصد العصر العباسي - تعمقوا في علوم الدين، وبرز كثير من العلماء الذين شرحوا وفصلوا وأدلوا برأيهم في كثير من النواحي الدينية، ولكن بقي مقصورًا على علوم الفقه والتشريع والتفسير واللغة، ونظروا إلى القرآن كلغة وأوسعوه شرحًا وتفصيلاً وأبدعوا وأظهروا جلال القرآن في أسلوبه ولغته وجمله وترابطه والتحام معانيه، ومع كل هذا لم يتوقف بعض علماء هذه الفترة عن بيان بعض الآيات العلمية والإدلاء بآرائهم فيها بما اكتسبوه عن الصحابة والتابعين، وإن كان البيان قليلاً يسيرًا، ولكنهم حاولوا بما لديهم من قدرات وإمكانيات.

والجدير بالذكر أن عصر الخلفاء الراشدين كان مهتمًا بتثبيت الإسلام

والدولة والقضاء على الفتن والمرتدين، والعصر الأموي كان اهتمامه الأول الفتوحات والانتصارات، وما برز العلماء والدارسين إلا في العصر العباسي بعد أن استقرت الدولة وقويت شوكتها وأصبحت الدولة الإسلامية الحاكمة والآمرة والأقوى بين دول العالم.

وأعود إلى الآية العظيمة ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾:

كل علمائنا فيما مضى كانوا يقولون: مادام الله قد أقسم بالبحر المسجور ... البحر المشتعل نارًا ... إذًا فهو موجود ولكن أين يا ربي.

كان بعضهم يسأل الرحّالة والبحّارة والتجّار هل رأيتم في سفركم وترحالكم بحرًا مسجورًا تشتعل فيه النار فيكون الجواب بكلمة لا، ثم نراهم أخيرًا يوصون الجيل الذي يليهم بالمتابعة والبحث ويذكرونهم بقوله (تعالى): ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾:

فإنهم يعلمون تمامًا أن الله وعد وأنه لا يخلف وعده، وأنه سيأتي اليوم الذي يوضح لنا العلم ويشرح ويبين لنا معجزة الله في البحر المسجور ولكن حتى يأذن الله (سبحانه وتعالى).

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾:

ولما أراد الله (سبحانه وتعالى) أن يتحقق وعده بأنه سيرى الظالمين قدرته وعلمه الذي لا يحيطون بشيء منه إلا بما يريد ويشاء، وحينما أراد الله أن يضع الحجة أمام المليارات من الناس أراد بقدرته أن يهيئ لهم أدوات

يحسنون صنعها ليكتشفوا ويعلموا قدرة الله (سبحانه وتعالىٰ) وتكون عليهم الدليل والحجة حينما يقفون أمام الله الخالق البارئ العليم القادر يوم القيامة.

وجاء الوعد الإلـهي ووصلت البشرية بفضل الله إلىٰ بعض العلوم التي تؤهلها لكشف تلك الآيات العظيمة ...

غواصة ألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية تعبر البحر الأحمر ورغم أن هـٰذه الغواصة لم تكن متقدمة قياسًا لتلك الغواصات الحديثة جدًا، لكنهم رأوا أمام أعينهم في قاع البحر «أخاديد» تخرج منها الحمم ولاحظوا أنهم كلما اقتربوا من مضيق باب المندب عند النقطة الفاصلة بين البحر الأحمر والمحيط الهادي ازدادت تلك الأخاديد وزاد طولها حتىٰ أن بعضها يصل إلىٰ عدة أمتار تخرج منها ألسنة اللهب. وطبعًا كانوا يحيدون في مسارهم عن تلك الأخاديد حتىٰ لا تصاب غواصتهم بعطب أو عطل، وذلك من خوفهم، وكانت تلك ظاهرة غريبة لم يسمعوا عنها أبدًا، هـٰذا أول ما اكتشف، وطبعًا أكاديمية العلوم الألمانية درست هـٰذه الظاهرة.

ولكن العلوم مع نهاية الحرب العالمية الثانية أي منذ خمسين عامًا لم تكن علىٰ المستوىٰ الراقي التي هي عليه الآن، وربما دُرِس الأمر كظاهرة طبيعية لم تكن لها تلك الأهمية العظمىٰ في ذلك الحين رغم أنهم رأوا هـٰذه الأخاديد أيضًا في بعض البحار الأخرىٰ في العالم أثناء جولاتهم البحرية.

وحينما انتهت الحرب العالمية الثانية، تفرغت البشرية بعدها إلىٰ الإعمار والبناء والعلم فتقدمت العلوم تقدمًا سريعًا ومبهرًا.

ومن الطبيعي أن كثيرًا من دول العالم أصبحت تملك غواصات حديثة جدًا تجوب أعماق البحار في كل بقاع الأرض، ولم تعد عملية البحث

مقصورة على دولة دون دولة، وتسابقت دول العالم في الاكتشاف والاطلاع وسبر أغوار السماء وأعماق البحار، وأولوا الأرض والبحر دراسات كبيرة جدًا رصدوا لها مليارات الدولارات، وأصبحت الدول تتسابق فيما بينها على الاكتشاف والاطلاع وكل يحاول أن يظهر للعالم أنه الأول في العلوم الكونية والأرضية والبحرية وكل يسعى لكسب المزيد.

وفيها طبعًا تزايدت دراسة تلك الأخاديد والشقوق التي تخرج منها النار في قاع البحار بواسطة أحدث الغواصات والأدوات الراقية جدًا التي ركبت فيها أدوات التصوير والتكبير والتقريب والكمبيوتر والتسجيل.

ووجدوا أن كثيرًا من البحار توجد فيها أخاديد وشقوق تخرج من قاع البحار تم تصويرها تصويرًا دقيقًا وتصويرها على شرائط فيديو، وتمت دراستها دراسة مستفيضة ماذا تستفيد البشرية من هذه الظاهرة العلمية وعلاقة تلك الأخاديد بباطن الأرض وخروج الحمم والبراكين والمنفثات الطبيعية للأرض حتى يتم المحافظة على استقرار الأرض ... إلخ من النظريات العلمية الحديثة، ومنها ما قام له العالمان الروسيان «أناتول سجابفيتش» عالم جيولوجيا، و «يوري بجدانوف» عالم أحياء وجيولوجيا وبالاشتراك مع العالم الأمريكي المعروف «رونا كانت» فقد غاصوا جميعًا وهم على متن الغواصة الحديثة ميرا (عن أكاديمية البحث العلمي) - جمهورية مصر العربية - وصلوا إلى نقطة الهدف على بعد ١٧٥٠ كم من شاطئ ميامي وغاصوا على بعد ميلين من السطح حيث وصلوا إلى الجحيم المائي ولم يكن يفصلهم عنه سوى كوة من الأكرليك وكانت الحرارة ٢٣١°م وذلك في وادٍ على حافة جرف صخري وكانت تتفجر من تحتهم الينابيع الملتهبة

حيث توجد الشروخ الأرضية في قاع المحيط وقد لاحظوا أن المياه العلوية السطحية الباردة تندفع نحو الأسفل بعمق ميل واحد فتقترب من الحمم البركانية الملتهبة والمنصهرة فتسخن ثم تندفع محملة بالقاذورات والمعادن الملتهبة، وكان هؤلاء العلماء الثلاثة يعتقدون أن ظاهرة الحمم البركانية الملتهبة والشقوق الأرضية ظاهرة طبيعية في المحيط الهادي والبحر الأحمر إلا أنهم تأكدوا أخيرًا وبعد غوصهم أن هذه الظاهرة موجودة في كل البحار والمحيطات تكثر في مكان وتقل في مكان.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦].

تؤكد الدراسات الحديثة أن كثيرًا من البحار والمحيطات ذات قيعان متصدعة على هيئة شبكة هائلة من الصدوع تخترق الغلاف الصخري للأرض وتمد قيعان البحار والمحيطات بطبقة من الصخور المنصهرة التي تدفع عبرها بكميات هائلة تؤجج قيعان البحار والمحيطات بالحمم البركانية الملتهبة التي تصل درجة حرارتها إلى ما يزيد عن ١٠٠٠ درجة مئوية.

وظاهرة تصدع قيعان البحار والمحيطات واندفاع الحمم البركانية تحدث في المراحل الأولى لنشأة تلك البحار وكلها يبدأ ببحار طولية مثل البحر الأحمر ويظل قاعها يتسع بعملية اندفاع الحمم البركانية عبر الصدوع حتى يتحول البحر الطولي إلى محيط كبير، ويعتبر البحر الأحمر من البحار التي تتسع قيعانها بطريقة مستمرة في الوقت الحالي فقد ثبت أن بوغازه عند باب المندب يتسع سنويًا بمعدل يتراوح بين ١ ، ٣ سم.

وفي مشروع للاستفادة من ثروات البحر الأحمر أجريت تجارب على استخراج عينات من الصخور الرسوبية في تلك النقاط الحارة وجدت غنية

بكثير من الخامات الفلزية مثل (الذهب، الفضة، النحاس، الزنك) وكانت تلك الأجهزة تترك معلقة في الهواء لعدة ساعات قبل أن يتمكن الباحثون من الاقتراب منها نظرًا لسخونتها العالية.

وتزداد معدلات هذا النشاط البركاني في قيعان البحار والمحيطات وينتج عنها سلاسل هيلية وتكون الجزر البركانية كما في جزر المحيط الهادي.

والبراكين تكثر على طول خطوط اتساع قيعان البحار والمحيطات ويظل بعضها نشطًا لفترات تصل عشرات الملايين من السنين وتتحرك هذه البراكين أفقيًا لمئات الكيلومترات متباعدة عن الدروع الوسطية التي تتجدد مادتها عن طريق الحمم البركانية المندفعة منها.

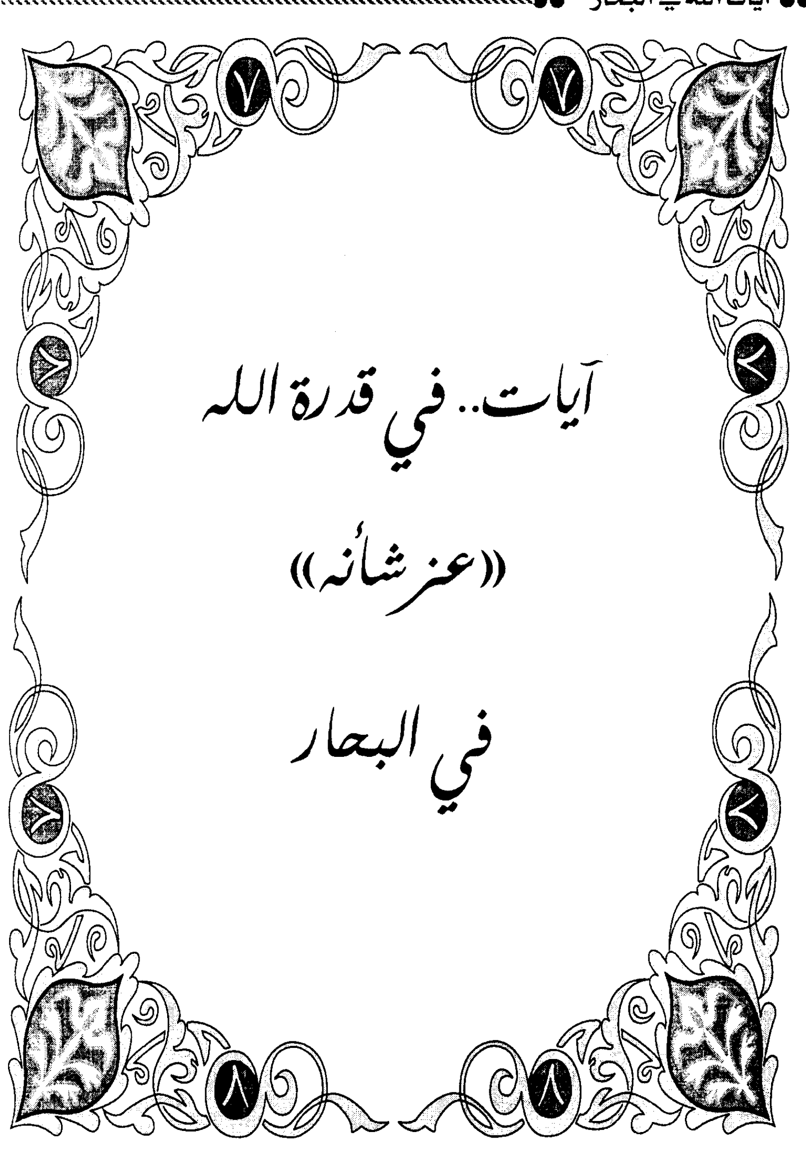
يتضح من هذا العرض أن من الحقائق الكونية الثابتة وجود بحار ومحيطات معاصرة تتسع بصدوع في القاع وتندفع منها الحمم البركانية لتؤجج تلك القيعان بالنيران. والبحار ما ينفلق وفي طريقه إلى التلاشي وتتلاشى معه ظاهرة التأجج بالنيران في قيعانه وهي حقيقة وقف الإنسان أمامها مندهشًا من تجمع الضدين (الماء والنار) فوق قيعان البحار. وفي القرآن المجيد في سورة الطور: ﴿**وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**﴾ [الطور: ٦].

وصف الله (تبارك وتعالى) البحر بأنه مسجور ومعنى مسجور أي الموقد وقد فسرها العرب بأنه الممتلئ بالماء بحيث لا يفجر الأرض وتغرقهم. ولكن البحوث الچيولوچية الحديثة توضح المعنى الأول أي البحر الذي تخرج من قاعه النيران المتأججة.

وهكذا فإن القرآن الكريم متجدد بتجدد الزمن يخاطب كل العصور والدهور كل زمان بقدر ما وصل أهله إلى العلم ومقدار تحصيلهم منه.

وفي الحديث الشريف: «لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو مجاهد في سبيل الله لأن تحت البحر نارًا وتحت النار بحرًا» لأن المخروط البركاني يندفع من وسط المحيط وفوقه ماء وتحته ماء لأن المخروط البركاني تندفع منه الحمم البركانية بارتفاع ٤ سم من تحت سطح الماء. فإن كان قريبًا من أسطح الماء كون الجزر البركانية مثل جزر هاواي.





آيات.. في قدرة الله

((عز شأنه))

في البحار

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١ - ٦].

﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير: ٦].

إنها آية من آيات الله المعجزات من لدن عليم خبير يعلم سر الخلق بدايته ونهايته، فإن كانت هناك آيات في قدرة الله في البحار فقد أظهرها الله لخلقه ونفذ وعده الذي قال فيه:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقد أوضحت وفصلت آيات الله في البحار وكيف تم معرفتها عن طريق العلم والاكتشاف وضمن إرادة الله (سبحانه).

وأما هذه الآية الكريمة من سورة التكوير التي يتحدث فيها الله (سبحانه) عن علامات وأمارات يوم القيامة بقليل يوم لا ينفع نفسٌ إيمانها إن لم تكن قد آمنت من قبل، يقول الله (تعالى):

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١ - ٦].

آيات عظيمة جدًا يخبرنا الله (سبحانه وتعالى) ماذا سيحدث مستقبلاً وعند قيام الساعة من انفجار كامل للكون، وهذا لا يمكن أن يكون إلا من الخالق نفسه ولا يمكن أن يكون من عند رجل حتى لو جمع فيه ذكاء عقول

أهل الدنيا كلها من أول رجل إلى آخر رجل ومعهم الجن أيضًا، إنه تقدير مستقبلي عظيم، وحينما يتكلم الإنسان عن شيء فإنه لا يستطيع تجاوز عقله أولاً وبيئته ثانيًا، فلا يستطيع أن يخبر بأكثر مما يحيط به وفي ساعتها فقط ولا يستطيع أن يتجاوز أصابع يده في الرأي لا أن يمتد به الخيال فيخبر عما هو أكبر من قدرته وطاقته ويتناول بتقدير كيف تُلفت الشمس ويذهب ضياؤها وتنكدر النجوم ويختفي لمعانها، وأن البحار ستشتعل بالنيران وتُحشر الوحوش وتُكشط السماء.

وأنا كمسلم حينما أقرأ هذه الآيات أعلم تمامًا أنها من عند الله لأني إنسان ولي عقل وأعلم أن عقلي لا يستطيع أن يتجاوز حجمه وقوته، وأعلم أني لا أستطيع أن أخبر عما سيحدث غدًا ضمن بيتي وليس ضمن العالم ومن هنا تأكدت أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون من عند محمد (ﷺ) وأنه لا بد أن يكون من عند عليم حكيم.

﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير: ٦].

﴿ وَإِذَا ﴾: شرطية حذف فعل الشرط لوجود ما يدل عليه (سُجِّرت).

﴿ الْبِحَارُ ﴾: جمع بحر أي كل البحار.

﴿ سُجِّرَتْ ﴾: اشتعلت، والاشتعال لا يكون إلا بالنار.

هذه الآية قلنا: إنها تقدير مستقبلي من الله (تعالى) عما سيحدث في البحار لحظة قيام الساعة أو قبلها بقليل. نعم هذه الآية العظيمة ليس فيها سر إعجازي اكتشف أمام أعيننا في هذه الأيام كمعرفة البرزخ في قوله (تعالى):

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣].

لأن هذا سيحدث في آخر الزمان وقد يكون بعد آلاف الأعوام وذلك في علم الله (سبحانه وتعالى) ولكن هناك إشارات علمية تقول إن هذا سيحدث في يوم ما ومؤكد الحدوث وذلك لسببين:

١ ـ أن جميع البحار يوجد في قاعها أخاديد من النار تخرج من قاع البحار. وتقل في بحر وتزيد في بحر وهذا ما ذكرته عن البحر المسجور وقلت: إن البحر الأحمر بالذات تطول فيه هذه الأخاديد وهي خمسين مترًا، وهذه حقائق لم تعد خافية على أحد فقد تم تصويرها وعرضت على أجهزة التليفزيون في شتى أنحاء العالم.

ويعني هذا أن البحار تسجر الآن على البطيء وحينما يأتي أمرُ الله تزداد هذه البحار تسجيرًا بأمره وتقوى هذه الأخاديد حتى تستطيع بقدرة الله إشعال البحار جميعها وتسجيرها قاطبة.

٢ ـ سورة التكوير تبدأ بقوله (تعالى):

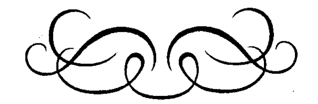
﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

ومعنى كورت أي تكورت والتفت على بعضها فهي تكور وتصغر ثم يذهب ضوءها ويختفي، أما علماء الكون جميعهم فيقولون إن الشمس سيأتي عليها يوم سواء كان بعد مليون سنة أو مليار سنة ينتهي فيها غاز النيتروجين وعليها تصبح شمسنا بلا ضوء وحرارة ويصبح كوكبنا معتمًا لا فائدة منه.

هـذه الواقعة قائمة لا حوَل منها وإن كان الخلاف حول وقت حدوثها، المهم العلم يقول: إن البـحار ستشـتعل بالنار والسبب الشمس، أمـا كيف؟ فإنهم يقولـون: إن الشمس حينما ينتـهي غاز النيتروجين بها الحـرارة الهائلة تدريجيًا وعند لحظة الانطـفاء الكامل تتوهج توهجًا هائلاً ثم تخمـد نهائيًا، وعند حالة التوهج الهـائل تعطي حرارة على الأرض أضعاف مـا عليها الآن وعليه فإن البحار ستشتعل جميعًا، وضربوا لها مثلا:

«إنك لو أوقدت شمعة وراقبتهـا حتى النهاية فإنك تجد أن الشمعة عند اللحظة الأخـيـرة تتوهـج توهجًا زائدًا وتـعطي أضعـاف النور والحـرارة ثم تنطفئ».

وهـذا الرأي العلمي يـدل على أن الشمس ستكون سـببًا في اشتـعال البحار وستكون الشقوق والأخاديد البركانية والحمم في قاع البحار سببًا آخر في اشتعال البحار، والله أعلم.





ثلاث آيات.. معجزات..

أكد العلم وقوعها..

لا محالة

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ١ ـ ٣].

ثلاث آيات معجزات مستقبلية أكد العلم وقوعها لا محالة فنحن أمام آيات إلـهية معجزات ستقع في المستقبل وذلك بعلم الله أخبرنا الله بوقوعهما والله أصدق القائلين.

والذي لا خلاف فيه أن العلم أكد تأكيدًا مطلقًا أن لكل شيء نهاية بدءًا من الذرة ونهاية بأعظم النجوم حجمًا وعمرًا، والتأكيد أتى من قانون الفناء فإن جميع العلماء متفقون أن فيزيولوچية الخلق تحمل عوامل الفناء عند بدء الخلق، فما خلق الله شيئًا إلا وضع فيه قانون فنائه المحتم لا محاله، وقد جعل الله هـٰذا القانون يطول ويقصر حسب قاعدة الفناء في هـٰذا الشيء فالإنسان يعيش ما بين ٦٠ ـ ٩٠ عامًا والنجم يعيش ما بين ١٠٠ مائة مليون عام ومليار عام وبعض الحيوانات تعيش خمسة أعوام وبعض الحشرات أيامًا وبعض المخلوقات ربما تعيش دقائق وما يهمنا أن أي خلق معه قانونه ومدة فنائه.

ونعود إلى الآيات الثلاث: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾.

فالله (سبحانه وتعالى) وبعلمه بالمستقبل كله يخبرنا ويعلمنا أن هـٰذه السماء ذات الحبك، هـٰذه السماء المتينة القوية جدًا المحروسة بقانون إلـهي لا يغفل عنه ولا ينام سيأتيها الأمر بحل عرى الترابط والتلاحم من الله (سبحانه) فتنشق هـٰذه السماء وتفطر، وتتلقى الأمر من خالقها بالانفلات

من قانون الربط والجذب ثم تنشق السماء وتفتح أبوابها المغلقة المحكمة بأمر الله فتنزل الملائكة على الأرض كما يأمر الله وذلك يوم القيامة حين تحشر الإنس والجن والوحوش ثم تلفهم الملائكة بأطواق محكمة بإرادة الله ثم تطوى السماء وما فيها من نجوم هائلة وكواكب بكف الرحمن لقوله (تعالى): ﴿ **وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ [الزمر: ٦٧]. يا سبحان الله.

﴿ **وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ** ﴾.

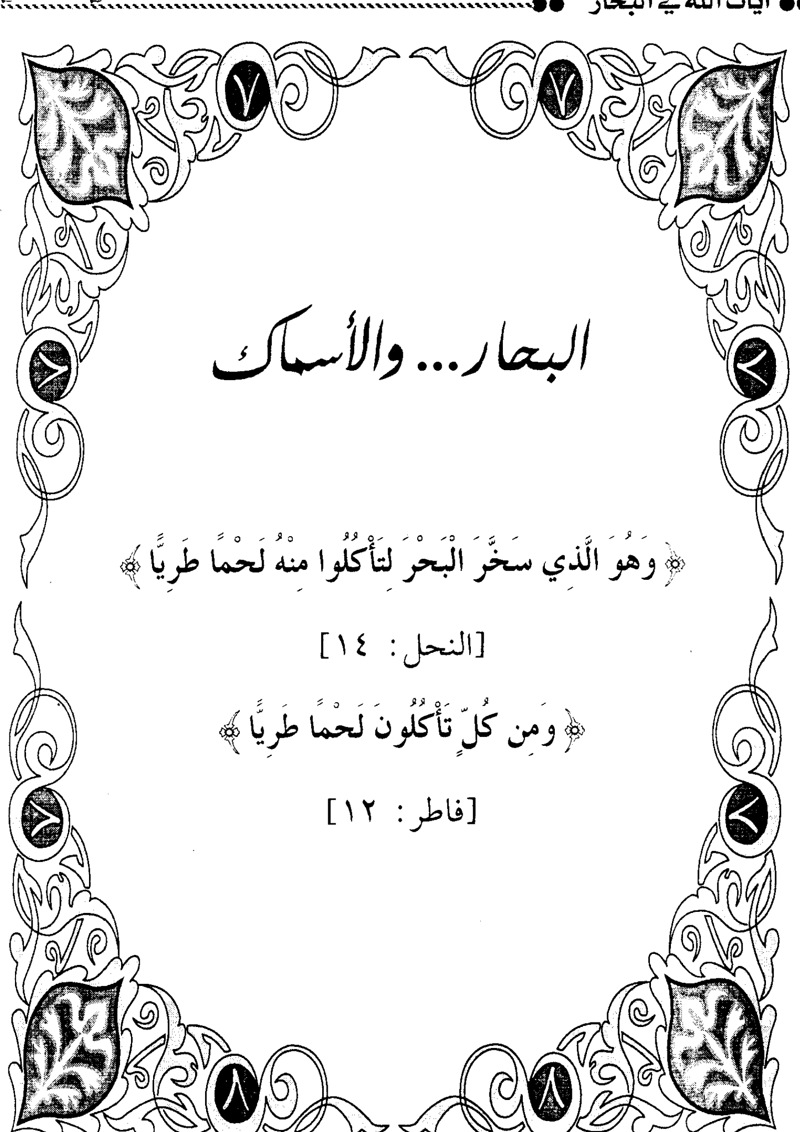
وهذه الآية الكريمة إعجاز عظيم ندركه تمامًا من التعبير العلمي الصحيح، قال الله (تعالى): ﴿ **وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ** ﴾ [التكوير: ٢]. وفي سورة الانفطار يقول عن الكواكب ﴿ **وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ** ﴾.

فكيف علم محمد (ﷺ) الفرق بين الكواكب والنجم ليخاطبنا عن النجوم بأنها ستنكدر وعن الكواكب ستنتثر، هذا التفصيل والتحديد لا يأتي إلا من لدن عليم حكيم بيده مقاليد السماء وعنده العلم بحقيقة النجم وحقيقة الكواكب فهو الذي خلق، فيعلم الفرق بين الاثنين.

فالنجم: أو ما يسمى بالشمس هو المضيء أي أن النجم عبارة عن كرة عظيمة ملتهبة بذاتها ترسل الحرارة الهائلة والضوء اللامع.

والكوكب: هو عبارة عن كرة معتمة تضيء بنور النجم «الشمس» المرسل





البحار... والأسماك

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾

[النحل: ١٤]

﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾

[فاطر: ١٢]



لقد أورد القرآن العظيم ذكر الأسماك على اختلاف ألوانها وأشكالها وأحجامها تحت اسم «اللحم الطري» وقد جاء بهذا النص مرتين الأولى بسورة النحل في قوله (جل وعلا):

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ [النحل: ١٤].

والثانية بفاطر في قوله (تعالى):

﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ [فاطر: ١٢].

ويهتم العلم بدراسة الأسماك دراسة وافية وتصنيف خصائصها ومحاولة الوقوف على بعض أسرارها، فهناك أسماك تعيش في الماء العذب ولا يمكنها العيش في الماء المالح، وأخرى تعيش في الماء المالح ولا يمكنها العيش في الماء العذب، وأسماك سامة لا يمكن للإنسان أن يتغذى عليها، والحقيقة أن الأسماك والبحار عالم رهيب يحار العقل فيما أودع الحق (تعالى) فيه من أسرار.

ولكننا نورد جانبًا مما سبق القرآن العظيم العِلْم في دعوة الإنسان للبحث في أسرار الكائنات الحية سواءً في البحر أو في البر والوقوف على فوائدها والاستفادة منها، ومعرفة أضرارها، وتفادي الوقوع فيها، وإن كان ذكر الأسماك جاء مجملاً مرتين في آيات التنزيل باسم «اللحم الطري» فقد انفرد بتعدد ذكر أضخم أنواع الأسماك وأكبرها وهو الحوت، إذ يُعرف بملك البحر مثلما يعرف الأسد بملك الغابة، ولقد سجَّل التنزيل حدثًا جللاً عن الحوت فيما حكاه القرآن عن نبي الله يونس (عليه السلام).

وهذا الحدث هو عبارك عن دعوة من القرآن للإنسان لدراسة الحوت والاهتمام به دلالة على ما له قيمة في عالمه وما فيه من فوائد حَبَاه الله

(تعالى) بها وسخرها لخدمة الإنسان، ويقرر العلم بعد القرآن وبعد الدراسات المستفيضة للحوت أنه أكبر الكائنات الثديية جسمًا، إذ يبلغ حجم الحوت البالغ ما يعادل وزن عشرة أفيال كبيرة الحجم، وصغار الحوت تعتبر أكبر صغار الكائنات الحية في البحر والبر، إذ يبلغ وزن الحوت الصغير عند ولادته أربعة أطنان، وترضع الحوت الأم صغارها لبنًا من أثدائها. ونظرًا لأن الحوت حيوان ثديي فليس له خياشيم يتنفس عن طريقها كباقي الأسماك ولكن البديل عنها هو الرئات، فإنها تشبه في عملها رئتي الإنسان، ولذلك فإن الحوت يتنفس باستنشاق الهواء من على سطح الماء أما باقي الأسماك فتتنفس عن طريق الهواء المذاب تحت الماء بواسطة الخياشيم، ويقدر العلماء جرعة التنفس التي يأخذها الحوت من فوق سطح الماء، بأنها تكفيه عشرين دقيقة عندما يغوص تحت الماء، ثم يعود إلى السطح للاستنشاق مرة أخرى، وإذا غاص تحت الماء أغلقت عضلات خاصة لا توجد إلا في الحوت وفتحات الأنف تمامًا لتمنع دخول الماء فيه، ومن جميل صنع الخالق (سبحانه) أن جعل للحوت فتحات أنفية في مقدمة رأسه ليسهل عليه استنشاق الهواء منها من فوق سطح الماء.

وأثبت العلم أن فم الحوت مفصول عن الممر الموصل بين الأنف والرئتين، ولذلك يفتح الحوت فمه فلا يصل الماء لرئتيه. وعندما يقوم الحوت بعملية الزفير تشاهد نافورة تعلو سطح الماء فوق البحر، هي الهواء وبخار الماء الذي يزرفه الحوت، ويلاحظ عندما يلامس الهواء الرطب البارد البحر يتكاثف مكونًا ما يشبه النافورة.

وقد احتار العلم في تعليل إمكانية بقاء الحوت تحت الماء فترة تزيد على عشرين دقيقة دون حاجة إلى تجديد الهواء والتخلص من ثاني أكسيد

الكربون وغيره من الغـازات التي يفرزها الدم، فوجدوا حقائق علمـية غريبة ومتعـددة في الحوت منها أنه بالرغم من أن رئتي الإنسان تسـعان من الهواء قدرًا أكبر مما تسعـة رئتا الحوت، إذ تزيد على رئتي الحوت الضعف، إلا أن الإنسان لا يسـتطيع البقاء دون تنفس لا بقدر مـا يستطيعه الحـوت ولا بقدر نصفـه ولا ربعه، ويرجح العلماء أحد أسـباب ذلك أن زفير الحـوت أكمل وأتم وأحسن من زفـير الإنسـان إذ يجدد الحـوت أكثر مـن ٩٠٪ من الهواء الموجود في رئتيه في كل نفس، أما الإنسـان فيجدد حوالي ١٥٪ من الهواء الموجود في رئتيه، أي أن الحوت يستفيد بالنفس الواحد ستة أضعاف استفادة الإنسان بالنفس الواحد أيضًا.

وهناك أمر آخر أهم يقوم به الحوت ولا يستطيع أي كائن حي القيام به غـير الحـوت بما في ذلك الإنسان، هو سـيطرة الحـوت على ضربات قلبـه سيطرة كـاملة وشاملة وعميـقة جدًا لدرجـة أن ضربات قلبه تتضـاعف عدة مرات وبسرعة كـبيرة عند صعوده إلى سطح الماء، فيـتخلص بذلك من غاز النيتروجين المُذاب في الدم إلى أقصى حـد وأسرع وقت. وبمجرد أن يغوص تنعكس العمليـة، أي تنخفض ضربات القلب إلـى أقل من الربع بما يسمح باستخـدام الأوكسجين استـخدامًا كاملاً واقـتصاديًا فلا يحـتاج الحوت إلى تجديده لفترة ثلث ساعة.

والحوت هو المصدر الوحيد لمادة العنبر، تلك المادة الدهنية الصلبة التي تشبه إلى حد ما الشمع، وتُستخدم كدواء، وتعتبر أساسًا للعطور ومثبتًا لها، فضلاً عن أنه يُستخرج منه زيت يعرف بزيت الحوت يدخل في تركيب الكثير من أنواع الدواء، ولقد عجز العلم عن إيجـاد البديل عن العنبر ولذلك فهو من المواد الغالية الثمن. ومن العجيب أن هـذه المادة تتكون في أمعاء الحوت

المريض، فالعنبر إفراز من أمعاء الحوت نتيجة مرض يصيبه وبحسب درجة هذا المرض ونوعه يكون لون العنبر الذي يتدرج من اللون الرمادي العادي إلى أعمق درجاته، وينبعث من خامه رائحة طيبة، وكثيرًا ما يخرج العنبر على هيئة إفراز من الحوت حيث يوجد بوفرة طافيًا على سطح المحيط على الشاطئ.

ولقد خلد الحق (تعالى): ذكر الحوت في آيات التنزيل حيث اقترن بنبيّ الله يونس (عليه السلام) فكلما تُليت قصة من أروع قصص القرآن، تتوارد للأذهان صورة الحوت في نقش الخيال كالمشاهد بالبصر حال التقامه يونس (عليه السلام)، ومعلوم أن الله (تعالى) أوحى إليه أن يونس ليس فريسة فلا تخدش له لحمًا ولا تكسر له عظمًا، وقد امتثل لأمر القهار الذي يكور الليل على النهار.

وتبارك المُنزل:

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢].

ومعلوم أن الأسماك غذاء ودواء للإنسان فهي من جملة ما سخر الله (تعالى) للإنسان في هذا الكون، وإذا أردت معرفة المزيد عنها، فاقرأ كتابنا «الطب القرآني: بين الغذاء والدواء».

خادم القرآن
محمد محمود عبد الله
مدرس علوم القرآن
بالأزهر الشريف



الفهرست